قسم اللغة العربية
جامعة دمياط

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
الخبير الدولي في اللغة العربية
والمحاضر الدولي

قصة حياتي
قصة كفاح
وقمة نجاح
في هذي الحياة

الناشر : المؤلف
طبعة تجريبية محدودة
Abu_elkher@yahoo.com
٠١٢٢ ٩٠ ٨٣٠ ١٨ _ ٠١٢ ٢٧ ٢٠ ٢٢ ٨٦
١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧م

طبع بمطابع دار الأصدقاء بالمنصورة



إهـــــداء

إلى هذي الأجيال الشابة التي بانت عنا عندما كنا في شبابنا ، ترى فيها تلكم الأجيال صورة من العرق والكفاح والمعاناة ثم إدراك الأهداف والنجاحات بفضل طيب الأخلاق والصفات من التعاون مع الصحاب والرفاق في شتى دروب الحياة ، وضوح الهدف وواقعيته طبقا لإمكانيات المرء وتماشيا مع الظروف المحيطة بنا والتي قد تعوق حركتنا ، ولعلها لا تسمح لنا ، وفي البدء والنهاية الركون إلى رب الأرباب في الضراء والسراء ، وفي كل وقت وحين.

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبوالخير
خادم اللغة العربية
أبريل ٢٠١٧م

في هذي المسيرة

أربعة أجزاء ، هن :

أولا - جزء سجلته بصوتي على الاسطوانة المرفقة.

ثانيا - جزء آخر كتبته بخط يديّ ، إذ انتصحت بنصيحة أحد أصدقائي بأن أكتب ، ولا أسجل بصوتي.

ثالثا - تذكرت رسائل عديدة احتفظت بها ألحقتها كما هيه - هي - بخطوط أصحابها ، أو اضطررت إلى إعادة كتابتها على الحاسوب ، منها مراسلات مع أستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين ، أو البروفيسور إيلرت بجامعة أميو بالسويد ، أو مع البروفيسور كيس فيرستيخ أو يوهان مولمان أو مع حفيد الإمام محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني ت ١٦٠٣م ، وعديد من الأصدقاء والرفقا الذين لعبوا دوراً مهما وإيجابيا في حياتي.

الرابع : صور من حياتي ولأصدقائي ، وقد رأيت أن توضع على اسطوانة ، ليس على ورق ، هذا ما رأيته وأنتويه وأرغب إليه.

ومن هنا فقد تنوع هذا العمل ما بين مسجل بصوتي وما بين مكتوب على الورق ، خطابات الأحباء ، ثم الصور التي التقطتها كمرتي أو صُورت في بعض المناسبات بغير كمرتي.

أحمد مصطفى أبوالخير
١٧ / ٤ / ٢٠١٧م

شخصيات في حياتي

خطابات

ومراسلات

وجوابات

في حياتي شخصيات ورجالات كان لهم الأثر الحاسم في حياتي ومسيرتي ، رجال كانوا في حياتي مفاتيح لكل خير لي ، ومغاليق مبرمة لكثير من الشرور في حياتي ، بعضهم كان مشهورا مشهورا ، إلا أن منهم من كان لو أقسم عليَّ قسما - أي قسم - ما كان لي إلا أبرَّه ، منهم ، أي من هؤلاء وهؤلاء :

١- بناء على نصيحة جدي لأمي - رحمه الله - أن أحفظ القرآن الكريم في باكرة حياتي ، وقد كان ، ثم رأى أبي - رحمه الله عليه - وبناءً على نصيحة أصدقائه وأصحابه أن أنتقل من التعليم الأزهري على التعليم العام ، وهنالك التقيت صديقي الأول في حياتي (س ع س) منذ السنة الأولى في مدرسة ههيا الثانوية ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ونحن الاثنين نذهب من البيت إلى المدرسة ونعود ، ومن نفس الطريق ، حتى توطدت بيننا الصداقة المتينة ، وخاصة بعد صلاة الجماعة في المسجد الكبير القريب من بيتينا ، حيث كنا نقف بعد الصلوات ساعات وساعات.

من الثانوية العامة (أدبي) التحقت بدار العلوم ١٩٦٦ ، والتحق هو بكلية التربية (جامعة عين شمس) وبعد تخرجنا توطدت العلاقات أكثر ، عملنا نحن الاثنين في التدريس ، ثم فوجئنا بصديقي يعين معيدا بجامعة المنيا ، ثم نقل إلى كلية التربية جامعة عين شمس الذي تخرج فيها.

واستطاع صديقي أن يقنعني وغيري من الأصدقاء بالالتحاق بالدراسات العليا ، وهكذا ما كان ، فعاوناه في معالجة بعض المشاكل التي قابلته في عمله حتى حصل على الماجستير ، ثم شغلتنا عنه الشواغل ، ولكن بقيت العلاقة معه ، حتى سافرت إلى تايلاند ٢٠٠٩.

جلس أمامي على الغداء شخص بادرته على الفور (أنت ابن عم صديقي ؟) نعم : (أنا هوه) وعندما عدت إلى بلدنا ههيا بادرت إلى منزل صديقي فرحا أزف إليه ما كان في تايلاند على الغداء ، سبقني إلى بيته بخطوات طفل من أبناء أحد إخوته ، طرق الباب ، خرج صاحبي يجيب الطفل الصغير يخبره أن أحدا يريده ، وإذا به يقول مشيرا إلى ساعته (وكانت العاشرة والربع مساء) بأنه لا يستطيع أن يقابل أحدا في هذا التوقيت.

وللحق كنت على غير مبعدة منه ، في ضوء قليل غير مباشر ، بحيث لا يميزني ، وعندما سمعت هذي الكليمات انسحبت بهدوء إلى بيتي ، لقد جئت إليه من الشرق الأقصى ، القصي البعيد البعيد متصورا سعيدا بسرور أدخله على نفسه وعندما علم أنني من ذهبت إليه وسمعت كلماته هاتفني معتذرا مبررا ما كان من كليماته، بعدها نالت هذي الصحبة بيننا استمارة ٦ بجدارة شديدة.

إني أحس أنني بعد انتقالي من التربية والتعليم على هيئة التدريس بالجامعة تلاشت صداقات كثيرة ، بل عبر بعض هؤلاء الزملاء السابقين صراحا بواحا بعدم رغبته في الكلام معي ، فسبحانك ربي ، مقلب القلوب والأصدقاء.

٢- وفي الجامعة (١٩٦٦ - ١٩٧٠) التقيت بعديد من الناس والزملاء الذين وضعوا في قلبي أسس الثقة بالثقة والتوازن الحق ، والإحساس بتقبل المجتمع من حولي أحسن ما يكون القبول ، سيما تيك الصداقات المعمقة ، والتي أراها ضرورية في مرحلة الشباب والتدرج نحو النضج والكمال ، لذا أحمد في بعض أبنائي أن لهم صداقات معمقة في مقتبل حياتهم.

وكانت الشخصية الثابتة التي لعبت الدور المهم في حياتي ، زميل الجامعة (م م خ) بقيت العلاقة المعمقة طيلة مرحلة الجامعة ، وبعد أن تخرجنا وفي مرحلة التجنيد ، ثم الخروج للعمل.

وانتهت تماما تماما بعد حصولي على الماجستير ١٩٧٧ ؟ كيف كان ذاك ، يرحمك الله ويطيل عمرك ؟ لقد بذل الرجل معي جهودا واضحة حتى المناقشة ، وفي زحمة هذي الانشغالات نسيت أن أهديه نسخة من الرسالة ، وعبثا حاولت استدراك هذا الخطأ الفادح بالاعتذارات وإهداء نسخة من الرسالة ، لكن هيهات هيهات ، لقد جاءت استمارة ٦ ، وتلاشت علاقتنا وصداقتنا.

صديقي الآخر ما كان بيننا رسائل أو رسالات ، لأنا لم نفترق ولم نبتعد بل كنا قريبين من بعضنا ، فلم تك مراسلات أو جوابات بيننا قط ، على عكس صديقي الثاني (م م خ) الذي أمطرني فأسعدني بكثير من المرسلات خاصة في مرحلة تجنيده ، وسوف أقدم نماذج من هذي المراسلات.

٣- وممن كان له أثر ، أي أثر في حياتي كلها أستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين الذي أشرف عليّ في الماجستير والدكتوراه التي حصلت عليها عام ١٩٨٣ ، بل بقيت العلاقة بيننا حتى مرضه الأخير ، ثم وفاته ٢٠٠٩م ، ومن حسن حظ أني احتفظت بكل رسائل أستاذي سيما فترة إقامته بالظهران (السعودية) وحتى حصولي على الدكتوراه.

٤- ومن الشخصيات المهمة في حياتي والتي آزرتني في حياتي وفي عملي (البروفيسور كلاس كريستيان إيلرت) رئيس معهد الصوتيات بجامعة أميو بالسويد حيث أجرى ما طلب مني أستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين من

تجارب معملية لم أسطع إجراءها في مصر ، ومن حسن حظ أني أحتفظ بكل ما كان بيننا من مراسلات باللغة الإنجليزية ، بل ومترجماتها إلى العربية ، وقد ضمنت جزءا كبيرا من هذا الملف في كتابي الأخير (مقدمة في علم اللغة الحاسوبي) الذي صدر هذا الشهر أبريل ٢٠١٧م.

كما أحتفظ للراحل العظيم (بخاطره الشافعي) برسالة واحدة كتبها بعد إعادة التجارب التي أجراها البروفيسور إيلرت.

٥- وفي المرحلة بعد الجامعية أتيح لي صديقان في هيهيا ، هما (ح أ و) ثم (ع ع م) وكان لهما أثر بالغ في حياتي وشخصيتي ، ومما يذكر أن الثاني منهما نصحني نصيحة لما خالفتهما قضيت عاما كاملا من عمري في البيت عانيت فيه معاناة لا يعلمها إلا بارئ السماوات والأرضين.

وفي دمياط ، كان صديقي بعد التعيين في كلية التربية عام ١٩٨٥ (ت ع أ) خير معين لي في هذه المرحلة الثرية من حياتي ، حيث خمدت روح هذي الصداقة نهاية تسعينات القرن الماضي ، وإن بقيت منها بقية خطي رفيع على الآن ، ولو في الشكل والظاهر.

٦- في القاهرة ربطتني علاقات وثيقة بالجمعيات الراعية للغة العربية وبمؤسسيها (د. محمد الحملاوي - د. عاطف نصار - الإعلامي طاهر أبو زيد) ففي عام ١٩٩٧ دق جرس الهاتف في بيتي ، إنه الدكتور محمد الحملاوي يطلب حضور ندوة لجمعية التعريب بالقاهرة ، يا إلهي إن هذا يوم الخميس الثالث (الخميس الكبير) لأبي الذي توفي وأنا أعتمر في مكة ، لذا لابد من الحضور ، واقترحت عليّ نفسي أن أذهب في الصباح الباكر إلى مقبرة أبي مع الذاهبين من الأسرة ،

ومنها مباشرة إلى القاهرة لحضور ندوة التعريب ، وأعود عصرا إلى حيث العزاء في الخميس الكبير.

ومن يومها توطدت العلاقات مع الجمعيات الراعية للغة العربية ومؤسسيها ، ثم الإعلاميين ، والصحافيين والإذاعيين الذين توثقت بهم علاقاتي ، وقمنا بأعمال مهمة فعاليات وندوات ومؤتمرات وأحاديث إذاعية وصحافية ومتلفزة.

٧- وفي عام ١٩٩٨م سافرت إلى تايلاند لحضور مؤتمر الدراسات الإسلامية في جامعة الأمير سنقلة في فطاني ، التقيت المستشرق الهولندي (يوهان مولمان) الذي أخبرني أنه كتب مقالة بعنوان :

Arabic in Indonesia

نشرت في المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي التي خصصت أحد أعدادها عام ١٩٤م بعنوان :

Arabic outside the Arab world

أخذت المقالة نشرتها ، ثم دلنا (يوهان) على عنوان محرر المجلة المذكورة (كيس فيرستيخ) في جامعة ينمخن في هولندة الذي أرسل باقي المجلة حيث قمنا بترجمتها على العربية ، حيث نشرناها تباعا.

وأذكر أن المستشرق يوهان مولمان كتب لي عن الأثر الذي أحدثه ترجمة مقالته إلى العربية في العالم العربي ؟ لكن الله سترنا وجبر كسرنا فجاوبته بأن المقالة عرضت في أحد المؤتمرات في جامعة الدول العربية ، أو (بيت العرب) بالقاهرة ، وسر بها كثير من الأساتذة ، منهم أستاذنا الدكتور كمال بشر - رحمه الله -

الذي طرب كثير عندما سمع عبارة مولمان المترجمة إلى العربية (إن الأندونيسيين لا يجلون العربية لأنها قاطرة القيم والدين فقط ، بل بسبب الجمال المتأصل في اللغة العربية) هذي العبارة الأخيرة (.... الجمال المتأصل في اللغة العربية) فجعل يقول ، أو لم يتمالك إلا أن يقول بحماس واضح : (الله ، الله ، الله ، الله).

كما ذكرت للرجل أيضا أنا نشرنا مخلصا لمقالته في جريدة الأهرام القاهرية (الصباحية) الجريدة الأشهر في العالم العربي :

٨- وفي ماليزيا التقيت بصديقين مخلصين ، هما (محمد صبري الصقيلي) محاضر في الجامعة الإسلامية العالمية ، اسكندراني من مصر ، بقيت الصداقة معه حتى رجع إلى مصر ، ثم توفي عام ٢٠٠٨م.

أما الآخر فهو الطالب في الجامعة الإسلامية سليمان تيه ، هو من تايلاند ، والذي هندس كل الرحلات على تايلاند منذ رحلتي الأولى إلى ذياك البلد عام ١٩٩٢، إلى هذي الرحلة الأخيرة إلى بلده في أغسطس الماضي ، عام ٢٠١٦م.

وعندما سافرت إلى تايلاند في أول رحلة تعرفت على الحاج / عمر الطيب مؤسس مدرسة الترقية الإسلامية وغيره من الأحباء ، وفي بيت هذا الرجل ذكر لي أنه ترك مصر عام ١٩٦٧ حيث تعلم وتخرج في مصرنا ، وأن أمله أن يعود إلى مصر لزيارته ، أجبته : (إن هذا سهل جدا ، كيف ؟ سنرسل لك دعوة لحضور مؤتمر في مصر ، ونستضيفك ما شئت شرط أن تأتي على حسابك ، قال : وزوجتي ؟ قلت : زوجتك ومن تشأ ، شرط أن يأتوا على حسابهم.

وبالفعل زار الرجل مصر عام ١٩٩٢م في مؤتمر أعلام دمياط ، بكلية التربية بدمياط ، وقد احتفى به زملائي - طبقا لتوصيتي - أيما احتفاء ، ثم زار زميل دراسته في مصر الذي كان نائبا لرئيس وزراء الكويت ، في ذياك العام ، وبعده اختير الشيخ عمر نائبا في مجلس الشيوخ التايلاندي بترشيح من ملك تايلاند الراحل (بومي بون) الذي توفى العام الماضي ٢٠١٦.

وعندما زرت تايلاند عام ٢٠١٢م علمت أن الشيخ مريض فزرته في بيته على مائدة غداء بعد صلاة الجمعة ، وفي رحلة العام الماضي - ٢٠١٦م - علمت أن الرجل لقي ربه بعد حياة حافلة لخدمة المسلمين ولغة القرآن الكريم.

٩- وفي ماليزيا أيضا ربطتني صداقة معمقة مع اللغوي النيجيري العظيم د. أحمد شيخ عبد السلام ، وظلت علاقات الود والعمل حتى بعد أن تركت ماليزيا عام ١٩٩٢ ، بل زارني مرات في مصر ، إلى أن علمت أنه ترك ماليزيا إلى غيرها ، أو إلى بلده ، فانقطعت الاتصالات والمراسلات ، ولم أعد أسمع عنه شيا (شيئا).

١٠- في أكرانيا عام ١٩٩٨ - ١٩٩٩م فزت بصداقة شاب لبناني كان يدرس الدكتوراه في جامعة كييف التي كنت أدرس بها موفدا من وزارة الخارجية المصرية ، وكان يعمل في خدمتي بشتى الطرق حتى غادرت أكرانيا إلى مصر عام ١٩٩٩ ، وقد دعوته مرارا لزيارة مصر.

١١- وفي بيروت العربية الأبية في مؤتمرات عامي ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م تعرفت على أصدقاء مخلصين ، منهم السيد / حسن معتوق (الشاعر الكبير) والذي عرفني على كثير من معارفه من بيوتات بيروت ، وقد دعوته لزيارة مصر ، وبالفعل

زارني أخوه(أحمد) لكن الجو لم يرق لـه في مصر ، فقد كان عزم على الإقامة بين أظهرنا.

١٢- وفي هذا العام شجر خلاف بين كليتي الآداب والتربية في جامعة دمياط حول الجداول والانتداب من الآداب إلى التربية ، ولكن هذا الشجر - بسكون الجيم - والخُلف انجلى عن ناس من ورق في جانب ، وأقل من ورق ، وإن كانت (الأنا) عندهم شديدة التورم وفي جانب آخر انجلت عن شخصيات أخر تطلب الحق ولا تخطئه البتة ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وجزاهم عن الحق بجزاء الحق العلي الكبير.

وسوف نختار بعض المراسلات المهمة التي مازلت بها أحتفظ إلى الآن ، فإن تعددت الرسائل وكثرت ملنا إلى بعضها فعرضناها على القارئ ، مع الاحتفاظ بباقي الرسائل في أوراقي الخاصة لمن رغب الرجوع إليها.

إن هذي الرسائل هي ثروة مهمة من زمن آخر ، كان للتراسل والمراسلة طريق واحدة هي البريد والأوراق ، وهو أسلوب اختفى تماما تماما ، كانت له لغته وأسلوبه وطرائقه التي حلت محلها أساليب أخر في الشبكة العنكبوتية والحواسيب والمحاميل والبريد الإلكتروني ، ومواقع التواصل الاجتماعي ... الخ.

لذا كانت هذه المراسلات ثروة تعبر كل ما سبق ، يمكن أن تدرس لغويا وأدبيا و (سرديا) وبلاغيا وأسلوبيا ... الخ ، بل واجتماعيا وتاريخيا ونفسيا ... الخ الخ.

بل إنني أيضا وضعت بعض الكتابات التي كتبها الزملاء عندما تخرجنا في دار العلوم عام ١٩٧٠ ، كتبنا لبعضنا في دفتر الذكريات (الأتوجراف) كلمات قليلة وجمل مختصرة تحمل الجميل من الكليمات والطيب من الخواطر والأحاسيس والمشاعر.

رصيدا

وأخيرا لدي صور لا تنعد ولا تنحصي أو تحصى ، هذي الصور تكون كبيرا لحياتي وذكرياتي وعديد من المعارف والصداقات والزيارات في حياتي ، ما أسطيع إلا أن أطلع القارئ على بعضها كنماذج ـ نماذج ـ وما نسطيع وضعها كلها كلها ، ولا جلها حتى جلها ما يسطاع ، كما أنا سنضعها على (اسطوانة) وليس على الأوراق ، فإن هذا الآن غير مسطاع ولا مستطاع.

ذكريات من أيام الصبا

كنت في الثالثة عشرة من العمر عندما أصبت بمرض جلدي ، يسمى (السَّنْط) عبارة عن زوائد في الجلد ، في اليدين والرجلين ، تزيد باستمرار وإذا حاولت إزالتها آلمتني كثيرا ، وظهر الدم بعدها ، ثم زاد حجمها.

وكان الحل إزالتها بالجراحة ، وكي مكانها ، مع ما يكلف هذا من مال كان أيامها عزيزا ، ليس كثيرا ولا متوافرا ، فضلا عن أن مكان السنط يبقى ظاهرا بشكل مختلف عن لون الجلد.

وكان الحل ساعتها أن نلجأ إلى وصفة محلية عجيبة ، لا تُصدَّق بسهولة ، كان أبي ـ رحمه الله ـ يسخر منها بحماس شديد ، وبرغم هذا استسلمت لرأي أمي ـ أمد الله في عمرها ـ وذهبت معها ، حيث طلب منا يلي : (بيضة ـ عدس ـ دقيق).

دخلنا إلى البيت ، منزل بالطين والطوب اللبن ، فتاة عادية جدا ، لاشية فيها ، جلسنا على حصير متواضع ، بدأنا نثقب البيضة بمسمار صغير ، نعد السنط ، واحدة بعد الأخرى ، ونضع حبة عدس واحدة في البيضة ، إن كانت السنطة صغيرة ، فإن كانت كبيرة زدنا حبة أو أكثر حسب حجم السنطة.

وبعد هذه العملية العجيبة أغلقنا البيضة بالدقيق الذي كان معنا ، ثم طلبت منا الفتاة أن نضع البيضة على سطح البيت ، في مواجهة الشمس ، مع تغطيتها وإخفائها عن الحشرات والدواجن والقوارض التي يمكن أن تأكلها.

وهنا انتهى الأمر تماما بالنسبة لي ، ولدهشتي الشديدة لاحظت بعد أسبوع أن السنط بدأ يختفي ، وفي الأسبوع الثاني اختفى ، وفي الأسبوع الثالث لم يعد لهذا السنط أي أثر من أي نوع ، وكأن شينا لم يكن ، وفي غمرة هذا كله لم نعط الفتاة إلا الشيء القليل ، مما لا يذكر.

وهنا استهوت التجربة أبي ، وبدأ يطبقها على من يراه من الناس مصابا بهذا المرض ، ولشدة دهشتنا جميعا نجحت التجربة ، دون أن تفشل ولو لمرة واحدة.

وبعد حوالي خمسة وعشرين عاما على التجربة الأولى ، ظهرت سنطة واحدة في أحد أصابع اليد اليمنى ، كانت تؤلمني كثيرا وبشكل مستمر ، كأنها شوكة رهيبة ، و يا ويلي إن مسها شيء أو تحرك نحوها أي شيء.

وكررت نفس التجربة مرة أخرى بعد هذي السنوات الطويلات وبنفس الخطوات ، وقد تم الشفاء بهذه الطريقة القديمة العتيقة ، ودهشت مرة ثانية ، لقد زالت السنطة تماما ، بلا أي أثر مكانها.

لو قصَّ على أحد ما سبق لكان للتشكيك مكان ومبرر ، لكني طبقتها على نفسي مرتين اثنتين ، في فترتين متباعدتين ، كما طبقناها كثيرا على ما لا يحصى من الناس ، دون أن تفشل التجربة في أية مرة ألبتة.

تُرى هل من صلة بين هذه الأشياء التي استخدمت في العلاج وبين هذا المرض ؟ إن العبرة بالنتيجة والشفاء ، فهذا ما يبتغيه المريض ، وما يأمله ، هذا حقه ومبتغاه ومنطقه الذي لا يلام عليه ، ولات حين ملام أو عتاب.

إقناع الصبـايـا

كتبت إلى أستاذي السويدي في جامعته أنني متأكد تماما من صواب رأيي وسداد قولي ، ولكن بعض أساتذتي في مصر لا يصدقونني ؟ فرد عليّ : لابد أن تبحث في السبب وراء عدم اقتناع هؤلاء الأساتذة.

نعم ، إذا لم يقتنع أحد بما نقوله له فعلينا أن ننظر في السبب الذي يمنعه من الاقتناع بوجهات نظرنا ، وكذا الاقتناع ، لابد به من مدخل صحيح ، إذا عرفنا مدخل الإنسان ومفتاح شخصيته كان إقناعه أمرا سهلا ميسورا ، بل من السهل أن نفهم سبب العناد وعدم الاقتناع.

يُشبّه لي أحد أصدقائي الأمر ، أو قل يقربه إليّ بقول : انظر إلى هذا الباب الضخم ، مفتاحه صغير جدا ، ولكن بدونه لا يستطيع أحد مهما كانت قوته أن يفتح هذا الباب ، اللهم إلا أن يحطمه بعضلاته ، أو بأدوات الحدادين والعتالين ، وربما بشق الأنفس والمجهودات.

دارت في خلدي هذي الأفكار ، وأنا أتذكر بُعيد تخرجي في الجامعة ، عندما حكى لي أفراد أسرتي ما كان من أمر الصبيتين الجارتين ، كانا يلعبان في هدوء ، وفي انسجام ما لبثا أن حُسدا عليه ، أو أصابتهما عين ، أودت بما كان بينهما من وُدّ ظاهر ، ودفء واضح.

اختلفا في اللعب وبسببه ، تماسكتا بالأيدي ، واحمرت الأبصار ، وحميت الأنظار ، فما كان من البنت إلا أن أمسكت بالسلسلة الذهبية لتخطفها من عنق

منافستها ، وعندما ظفرت بما ظفرت به أسرعت مهرولة إلى بيتها.

أول شيء فعلته خبَّأت غنيمتها في مكان أمين في بيتها ، ثم اندفعت إلى أمها شاكية باكية ، وهنا خرجت أمها على الفور تعاتب الأم الأخرى فوجئت أن ابنتها متهمة بالاستيلاء على السلسلة الذهبية ، وكان ثمنها ساعتها أربعين جنيها ، يمكن أن تشتري هذه الجنيهات فدانا من الأرض الزراعية.

تفاقم الأمر ، واستعرت المشكلة ، وامتدت من الصبيتين إلى الأمهات ، ومن النساء إلى الرجال في العائلتين المتجاورتين ، لأول مرة يقع شر بين هؤلاء الجيران.

ومما زاد الطين بلة أن الأسرة الأخرى أنكرت تماما أن ابنتهم قد أخذت شيئا مما ادعته البنت الشاكية ، وجاء اقتراح صب الزيت على النيران المشتعلة ، لقد ارتفع المشكل ورفع إلى الشرطة ، يا إلهي !!!

وصل بك الأمر يا جيران إلى أن تقدموا الشكوى إلى المركز.

اتسع الخلاف ، وتدخلت أطراف من هنا ومن هنا ، مع هؤلاء ، وضد أولاء ، أنكرت البنت وأسرتها إنكارا حازما عنيدا ما زُعم من ادعاء بخطف أو (نتش) السلسلة ، وحارت جميع الأطراف في حل هذا الخلاف المتفاقم.

ولكن الشرطى المحقق فطن إلى مدخل مهم ومناسب ، لقد مال إلى الصبية المتهمة قائلا لها : اسمعي يا بنتي ، إنك عندما يعقدون قرانك (يكتبون كتابك) سوف يقف واحد من الناس بعدما يأتي المأذون ، ويجتمع المدعوون ، ويوزع الشربات

ليقول للجميع : لا يمكن عقد القران لأن العروس سرقت السلسلة من عنق بنت عمي فلان أبو فلان ، وساعتها سينصرف الجميع لأن المأذون سوف يرفض عقد قرانك لأنك (حرامية).

ولدهشة الحاضرين جميعا والأطراف من الأسرتين لقد نظرت إلى أمها بصوت متهدج خائف : "أمي سأذهب إلى إحضار السلسلة" ، وعلى الفور صاحبها وفد من المركز إلى البيت ، حيث توجهت البُنيّة مباشرة إلى جرة الماء الممتلئة ، فأزاحتها قليلا لتخرج من تحتها غنيمتها التي تورطت في إخفائها ، وأدخلت أهلها وأسرتها في حرج بالغ ، رفع أعناق الأسرة الأخرى عاليا.

نعم لكل إنسان مدخل ومفتاح مهما كان عناده ، صغيرا أو كبيرا ، عظيما وجيها ، أو مغمورا حقيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

أ.د. أحمد مصطفى أبوالخير
الخبير الدولي في اللغة العربية

حكايــات
من الصبـا والشـباب

الشاعر النابه : عبد الرحمن عبد المولى قطب

ولد الشاعر عبد الرحمن عبد المولى مصطفى قطب بمدينة القاهرة في ١٩٥١/٦/٨م ، ونشأ في القنطرة شرق ـ محافظة الإسماعيلية ـ حتى عام ١٩٦٧ عندما احتلت المدينة حيث جاء إلى مدينة ههيا شرقية مهاجرا هو وأسرته المكونة من الأب والأم وشقيق أصغر وأربع شقيقات ، استقر بهم المقام جميعا في هذه المدينة.

مات الأب أولا ، وكان يعمل بالأشغال العسكرية عاملا فنيا ، ثم توفيت الأم أيضا ، أما شاعرنا فقد التحق بالمدرسة الثانوية في مدينة ههيا ـ ١٩٦٨ ـ ثم التحق بكلية درا العلوم جامعة القاهرة التي تخرج فيها عام ١٩٧٤ ، وقد ظهرت شاعريته منذ فترة باكرة من صباه ، ربما في المرحلة الإعدادية ، ثم تجلت واتضحت في المرحلة الثانوية ، وانطلقت بعد ذلك في المرحلة الجامعية وبعدها.

اشتغل بالتدريس منذ تخرجه وذلك في أقصى جنوب مصر ، في أسوان ، بعدها نقل إلى محافظة الشرقية ، تزوج وأنجب خمسة من البنين وبنتا واحدة ، ولكنه كان لا يحب الشهرة والأضواء مركزا على عمله في التعليم والتدريس ، فقد كان مدرسا مطبوعا ، لا يشق له غبار ، وكان شديد الاعتداد بنفسه وبرغم حالته الرقيقة المتواضعة فقد أضرب ـ رحمه الله ـ عن إعطاء دروس خصوصية مدى حياته مع

شدة حاجته ، اتجه أولا إلى التجارة ثم النجارة حتى أعير إلى المملكة العربية السعودية ليتمكن من تسديد جزء كبير من ديونه.

كان ـ رحمه الله ـ فضلا عن شاعريته الدافقة قارئا نهما ، لا يعجزه الكتاب مهما كان ضخما أن يقرأه في ليلة واحدة ، يكبس عليه لا يبرح مكانه حتى يأتي عليه وعلى كل صفحاته ، ولذا كان يشتكي دائما من صداع يكاد يفلق رأسه حتى قال فيه شعرا :

شكوت إليك يا ربي صداعا — وكاد الرأس ينصدع انصداعا
دماغي قد على من فرط حر — كما الآتون تُطعمه تباعا
قد انقضّت على جسمي ضباع — وقد نفرت لتنهشه جياعا
قد انقضت ولا أبدي حراكا — وما دافعت من وهن ضباعا
وما غمضت طوال الليل عيني — تحملق زادهما الوهم اتساعا
ت؟؟؟؟؟ن في الظلام كأن فيه — عفاريتا تهيجها ارتياعا

كما كان محللا للأحداث ـ خاصة في وسائل الإعلام ـ من الطراز الأول ، فإذا وقعت واقعة في أي بلد فهم بحسه المرهف وذكائه النادر أن هذا من صنع هذه الدولة أو تلك ، لم تك وسائل الإعلام تضلله أو تتوهه ، بل كانت له آراء ثاقبة في المجتمع والسياسة والناس والعلاقات والأفكار والتيارات.

قراءاته المفتوحة الموسعة شكلت حياته ، وجعلته مؤثرا بالغ التأثير فيمن حوله من الأصدقاء والمعارف والتلاميذ ، وكان يقول عن نفسه : "كنت لا أطيق أحدا ولا يطيقني أحد حتى قرأت كتاب ديل كارنيجي : كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس" وكان ينصح تلامذته دوما بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه ، حتى إنه

كان يقرأ جزءا من الكتاب يطبقه ثم يعود مرة أخرى لمراجعة هذا التطبيق مع أصدقائه ، وهكذا.

أبرز من تأثر بهم مدرسوه خاصة في المرحلة الثانوية ، وبشكل أخص مدرسو اللغة العربية وعلى رأسهم الأستاذ محمد أمين الذي قال عن الشاعر إنه فلتة. والأستاذ السيد ضيف ـ رحمه الله ـ ثم الزملاء والأساتذة والأصدقاء في الجامعة ، وفي التدريس بعد ذلك ، خاصة صديق من ميت غمر كان لا يفتأ يذكره ويردد اسمه ، وهو أبو العز ، لقد كان معه في أسوان ، ولم ينسه طوال حياته.

وبرغم شعره الغزير وفي شتى الموضوعات فقد كان لا يحفل بنشره وإشهاره، أو إشهار نفسه ، ومن ثم ضاع جزء كبير من هذا التراث المهم فيما بقي بعض النتف القليلة المتناثرة هنا وهناك ، تركه مع أصدقائه أو حفظه عنه بعض معارفه ، وتم إنقاذه من الضياع والنسيان.

وقد ورث الشاعرية لبعض أبنائه ، ممن قال شعرا جيدا ، وعلى مستوى متقدم وناضج ولعل من المناسب تقديم بعض هذه النماذج من شعر أبنائه ، برغم أن الأب توفي عنهم وهم صغار جدا ، لقد كان أكبرهم عند وفاة أبيه لم يكمل عامه العاشر.

توفي الشاعر عبد الرحمن قطب في حادث سيارة على مدخل القاهرة ـ الاثنين ١٩٨٩/١/٢٣ ـ عندما جاء من السعودية في أجازة نصف العام ، بعد أربع سنوات أي سنة ١٩٩٣ وفي ذات الشهر ، توفيت زوجه ـ رحمها الله ـ تاركة أبناءها الستة

لشقيقاتها ، وشقيقات زوجها وأزواجهن حتى شبوا عن الطوق ، تخرجوا جميعا وتزوجوا وشقوا طريقهم في الحياة.

وبرغم الحياة القاسية التي عاشها فقد كان كريما جوادا بكل ما لديه ، برغم هذا القليل الذي لديه ، لا يكترث بما ينفق وما يصرف ، كما كان ذا دعابة مع أصحابه ومقالب خفيفة ، عرف أن أحد أصدقائه مدعو إلى وليمة مهمة عامرة فأصر على دعوته على الغداء في نفس اليوم ، ومع الإلحاح اضطر الرجل إلى الاعتذار عن الوليمة المضمونة ، وبعد أن حضرت أطايب الطعام أمامه وفّى بموعد صاحبه ، وبالفعل ذهب إليه في الموعد ، لا ليجد الشاعر في انتظاره ، بل ليجد ورقة تركها له مع طفله يعتذر له بأنه سافر فجأة إلى أصهاره في الزقازيق.

ومن أشعاره القليلة المتبقية :

في ربوع الأرض قد عم الفساد — واحترقنا فيه صرنا كالرماد
مالنا نرضي هوانا يا عباد — إن نفسي لم تزل نفسا أبية
ألهَوا طاغوتهم فوق الأنام — وارتضوا للناس حلا أو حرام
واقتفى درب الهوى قوم لئام — ذلكم شأن الحياة الجاهلية
كيف يحلو لي على هذا سكوت — هل إذا ما ثرت أخشى أن أموت
إن ربي عنده أجل وقوت — إن ديني كان لي دوما هوية
كيف والأيام تمضي لا تعود — والدماء على تقاعسنا شهود
كل حر عن عقيدته يذود — حينما تبقى له منها بقية

وهذه القصيدة وجدت مسجلة على شريط بصوته ، ربما يرجع تاريخ تسجيلها إلى نهاية السبعينات ، وموجودة مع بعض أصدقائه ، ومن القصائد التي كان يتناشدها مع أصدقائه ، قصيدة دعبل بن علي الخزاعي :

مدارس آيات خلت من تلاوة — ومنزل وحيٍ مقفرُ العَرَصات

ومطلعها :

تجاوَبْن بالأرْنـان والزَفـرات   نوائحُ عجمُ اللفظِ والنَطقات

وقصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين ، علي بن الحسين :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأته   والبيتُ يعرفه والحلّ والحَرم

فضلا عن قصيدة زين العابدين ، أو التي تنسب إليه :

أنا الذي أغلق الأبواب مجتهدا   على المعاصي وعين الله تنظرني

ومن المُلح التراثية التي كان يحكيها : سأل الرجل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يا أمير المؤمنين ، أيُظى بظبي ؟ بالظاء في الكلمتين ، فعجب عمر قائلا : وما ضرَّ أن يقول : أيضحى بالضاد ـ بظبي !؟ قال : يا أمير المؤمنين : إنها لغة ـ بكسر اللام ـ قال : ما ضر أن يقول (لغة) ؟ قال يا أمير : إنها لغة في (لغة).

وعن الشعر قال :

نظمت الشعر أستجدي عزاءً   لهمّ كامنٍ بين الضلوع
وأبكي بالقوافي سوء حالي   فهل للسعد يوما من رجوع

وكان به عرج قليل تحدث عنه في شعره ، وكان دائما يُذكّر نفسه بهذا الأمر اعترافا بواقِعِه وبعدا عن الهروب منه ، مما قال في هذا :

من أعرج إلى قلبه

إذا ما غالك الظلع [1]   وبتَّ عضّك الجَذع
وفي جنبيك نيران   من الأشجان تندلع

---

(١) العرج.

يـزيــد أوارهـــا نبـــض ... ودمـــع ليـــس ينقطـــع
تعـــذب قلبــك العانـــي ... وإن عذابهـــا بشـــع
فصبــرا يــا فتـــى صبــرا ... فـــإن الله مطلـــع
يصـــون كـرامتـــي صبـــر ... ويـــودي عزتـــي الطمـــع
لنـــا الرحمـــن يـــا قلبـــي ... فهـــل - بـــالله - تقتنـــع

وعندما استشهد القائد عبد المنعم رياض ، على ضفاف القناة ، أنشد قصيدة بعنوان : إلى الشهيد رياض ، منها :

أرى الصنديـد لا يخشـى جهادا ... ويفـدى بالدمـاء لـه بـلادا
فـلا تبكـوا بَنـى قومـي شـهيدا ... وهُبوا إنّ نفيرِ الحرب نادى
وإن الحـرب لا تبقـي عزيـــزا ... يخلّـد أو تكـنٌ لـه الـودادا
قضـــاء الله شـــيء ذو نفـــاذ ... وكفـرا أن تـروم له ارتدادا
خـــذوا بالثـــأر أبنـــاء قومـــي ... ولا تعطـوا لأدمعكـم قيادا

اشـترى أحـد زملائـه فـي المدرسـة الثانويـة (جاكتـة) ربمـا كانـت مسـتعملة ، وعندما رآها شاعرنا قال فيها أبياتا ، إلا أن زميله لم يمهله إلا بيتا واحدا فقط ، هو :

بـرب النــاس أخبرني عمـارة ... أتلك تكون بردعة الحمارة ؟

ومن شهره أيضا الذي كان يعكس معاناته :

عبء المـواد وطـول السـهر ... لأمـــر يطلـــع روح النفـــر
فـلا الأكل يمـري علـى جتتي ... ولا النوم أعرف مثل الغفر
فمـن أجـل هـذا غـدت جتتـي ... بتأثيـر ذاك البَـلا فـي خطـر

وفي قصيدة ولائم العظماء يفتتح بالصلاة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بيتين أحدهما :

نصلي على النبي خير البرية ... نبي الحق هادي الإنسانية

ثم يدخل إلى ولائم العظماء :

أحـب ولائـم العظمـاء يابـا ... وأحسب في الهجوم لها حسابا

أحـب الـرز معمـولا بسمـن ... كـذلك اللحـم أعشـقه كبـابا

وطشطشـة الديـوك لهـا رنيـن ... يفـوق مـاؤها الدسم الشنـابا

إذا مـا الشـوربة السخناء جـاءت ... يبلـغ مـاؤها الدسم الشنـابا

فإذا وقع منها على الأرض شيء ... قلـت يا ليتنـي كنـت الترابـا

وعنـد الشـغل تحسبني مريضـا ... وعنـد الأكـل تحسبني غـرابـا

إذا مـدت يـدي فـي صدرك ديـك ... فلـن ترجـع ولـو أتـت النيـابـا

ويرد صاحب البيت :

سـألـت الله يبليـك فـقـرا ... حتى تبيع الكاكولة والشرابا

وفي غزل الملوخية :

يا أيهـا الملـخ العزيـز سلام ... نتغدى بـيك وبعـد ذلك ننـام

قال العيال : لقد سئمنا أكله ... صرخت فيهم إن ذلك حرام

فهـو المقدم للضيوف وإنـه ... فـوق الموائـد للطعـام إمـام

وفي هجاء المحشي :

عدوي في الحياة يكون (١) محشي ... فقلبي لـه بكل الكره محشي

أراه فانتفـض خـوفـا ورعبـا ... وأقنـع بالسلامـة ثـم أمشي

وفي البسارة :

أحـب المـوت يأتيني وغـارة ... ولكـن لا أحبـك يـا بسـارة

وفقـد العـدس عزَّ عليَّ يوما ... وفقدك لم تكن فيه الخسارة

أشـمك مـن بعيـد ثـم أجـري ... وحلقـي لم تزل فيه المرارة

---

(١) يكون هنا تامة.

الشاعر النابه عبد الرحمن عبد المولى قطب كان يصف نفسه بهذا الوصف (عبد الرحمن الغلبان) بل كان يردد عن نفسه :

وأطيب مني لم تر قط عين   وأطيب مني لم تلد النساء

أما أبي - رحمه الله - فقد كان يقول عنه : (الواد دا أكهن من الـ   ، طاوي الاتنين الغلابة تحت باطه) وعلى الفور كنت أنقل كل هذا إلى عبد الرحمن الذي كان يستلقي على قفاه ضحكا من هذا الكلام ، وكنت أقول له : (أنا حاجز الباط اليمين) تاركا الأيسر للزميل الآخر.

أما عندما نقلت إلى أبي أنا كنا أربعة تعشينا في بيته الذي كان قريبا من منزل أبي فقد اعترض والدي بشدة قائلا : (يا ناس حرام عليكم ، أربعة تتعشى عند الراجل !! حرام عليكم) وبطبيعة الحال كنت أنقل هذا بالحرف إلى الشاعر الذي كان يسر كثيرا ، يضحك ملء فيه ، لا مانع من العودة إلى أبي لأخبره بما كان مني ومن الشاعر.

من الحكايات التي كان يرددها أمامي : (تذكر يوم أن تعشيت عندنا ؟) وأرد : (أنا ؟!) بدهشة شديدة ، يقول : (ليلتها ذبحنا لكم وزة !!) يرد : (بأمارة ما كنتم عشرة !!) وهكذا يستخدم إحدى الأمارتين كنتم عشرة ، أو ذبحنا لكم وزة.

ومن نكاته التي كان يرددها : جلس بدوي وفلاح يأكلان وأراد الأول استدراج الثاني لإلهائه عن الأكل ، فسأله : ماذا ترك لك أبوك ؟ وهنا بدأ الفلاح يسهب في الثروة التي ورثها ، وأصنافها وأنواعها وأضرابها ، وعندما أدرك الفخ اراد استعمال ذات السلاح فسأل البدوي : ماذا ترك لك أبوك ؟ رد البدوي في كلمتين نطقهما في سرعة البرق ، فقال : (عزومات).

وكان يخترع بعض التحليلات للكلمات فإذا صدقها مستمعه انخرط في الضحك والقهقهة زاعما أن كل هذا في كتاب موسوعي يسمى : (إمتاع الأريب في التحليل العجيب) للأخ الحبيب الغريب ، حيث كان يحس بغربة بين الناس ، وعن المجتمع الجديد الذي هاجر إليه من القنطرة إلى ههيا الشرقية.

فمما قال في الأريب : (هل تعرف لماذا سمي الدبلوماسي بهذا الاسم ؟) ويرد المستمع بملء فيه : لا ، يشرح له ـ كما جاء في الأريب : (يحكى أن كانت هناك منطقة في الصين اسمها لوماسيا ، فلما ظهرت طبقة الدبلوماسيين المحترفين ، قيل: ديب لوماس ، أي ذئب من منطقة لوماسيا) ثم يضحك إن صدقته.

وفي فترة كثرت حوادث القطارات في مدينة قليوب ، قرب القاهرة ، فكان يسأل محدثيه : لماذا سميت بهذا الاسم ؟ لما كثرت عندها الحوادث ، قيل (قل من ينوب) ثم اختصرت إلى (قليوب).

أما قطارات الدرجة الثالثة التي فقدت نوافذها وأبوابها إلا ما عصم ربي ، فقد كان يقول عنها : هواؤها تكييف ، أي يدخل ويخرج على كيفه.

شقتي القديمة كان يطلق عليها المكمرة لشدة حرارتها ، كان كلما دخل بيتنا وجد فيه الخير والقرى وبالزيادة ، على عكس أحد أصدقائي ـ رحمه الله ـ كلما أتانا وجد كل شيء إلى نفاد ، أو في الأواخر والتشاطيب.

قصيدة (المنيِّل) [١]

للشاعر يوسف معوض

لحـــاك الله يـــا زمنـــا يلاقـــي
كريمـــا عيشـــه مـــر المـــذاق
طـوى الشـرفاء فـي النسيان لمـا
أحـــاط بأهلـــه ليـــل المحـــاق
بـل ارتفـع الوضـيع بغيـر حـق
ســوى شــرك الخــداع والانــزلاق
فـإن قيـل (المنيِّـل) جـاء فـانهض
ســريعا والــتمس طــرق النفــاق
وقــدم قهــوة أو كــوب شــاي
وقـــل والله كنـــا فـــي اشـــتياق
وقـل ملــك الأناقــة قــد أتانــا
فلـــيس لغيـــره أدنـــى ائـــتلاق
فمـــا تمزيـــق معطفـــه بعيـــب
ولا تلويـــــث رابطـــــة الخنــــاق
ولا تفضـــح لـــه جهـــلا تبـــدي
وأعلـــن أنـــه للعلـــم بـــاق
وإن ينصـــح فـــألق بهـــا بعيـــدا
كإلقـــاء الموثـــق بالوثـــاق
تــك يــا صــاح ممتــازا وترقــى
وتبعـــث للكويـــت أو العـــراق

(١) أحد الناس ضايقني في عملي ـ وما أكثرهم ـ لذا أرّشت عليه الشاعر فكتب هذه القصيدة هجاء لـه ، وبناء على طلبي.

اشرب دموعك [1]

اشـــرب دموعـــك يـــا غريـــب
واطـــرب إلـــى صـــوت النحيـــب

(١) بيت من شعر ابن عبد المولى (ت ١٩٨٨).

نموذج من شعر أحد أبناء الأستاذ عبد الرحمن عبد المولى قطب

مناجاة طيف

عانيت من آلام حبك أدهرا ... حتى غدا قلبي بحبك مُقمرا
ملك الفؤاد مع العيون فأصبحت ... عمياوتين لغيره لم تنظرا
فأناجي طيفك في الليالي رسمه ... بين النجوم وفي السماء مُنورا
ويتيه فوق نجومها بجماله ... فمثيله ما للعيون لأن ترى
ينتابني عند اللقاء مشاعرُ ... لتزيح عن قلبي هموما أبحرا
وتفيض من نسمات حب دافئ ... كادت له الظلمات أن تتنورا
أرنو إلى العينين كيف جمالها ... فأرى كأني قد رأيت جواهرا
سحر يفيض على الوجود نضارة ... وعلى القلوب يفيض حبا أكبرا
جمعت به العينين كل محاسن ... بين الرموش فصارا حسنا مبهرا
فإذا أردت بأن أبوح عن الهوى ... عجز اللسان فلن يكون مؤثرا
وفؤادي أفصح في الحديث بلاغة ... يزجي القوافي والنشيد معبرا
كلماته نبضات حب صادق ... حالت على الشفتين أن تتحاورا
وتقول عيني والسكوت كلامها ... فتبادل النظرات بات محاورا
وأغوص في أعماق نفسي جامعا ... ما أستطيع بأن أبوح وأخبرا
فأتوه بين خواطري ومشاعري ... فوجدت صدري بالمحبة زاخرا
بحرٌ خضم من عواطف جمةٍ ... وشراع قلبي يعتليها مبحرا
موجاته نظرات رمش ساحر ... كادت له الآهات أن تتفجرا
فأنا الأسير بقيد حبك راجياً ... ألا أفارق أسرك المتعطرا
وأنا المريض بداء حبك راضياً ... فالقلبُ يهوى بالحنين تأثرا
لا تتركيني بالجراح فإنني ... سأصير في حزني عليك مدمّرا
وحطام صدري لن يفارق حبه ... سيظل يندب حبه المتعثرا
ورفات قلبي لن يضيع مع الثرى ... سيطير نحوك باكيا متحدرا
دمعاته تشفي جراحك والأسى ... والروض حولك تحتويه ليثمرا
وتسيل من حزن عليك جداولا ... لتشيع ورداً في سماك منثرا
يا للأنين يفتت ما في داخلي ... ويهد في همي فأفترش الثرى
والذكريات تفور بين جوانحي ... لتهيج آلاما ينوء بها الورى

المقامة الدرعمية
الدراسة في دار العلوم

شاء الله أن أحصل على الثانوية العامة من مدرسة ههيا الثانوية عام ١٩٦٦م وكان أمامي من الكليات المتاحة عامئذ ، كلية الحقوق ودار العلوم ، وسنتها استشار أبى أحد أقاربنا في القاهرة ، فأشار بدار العلوم ، وعلل هذا بأنها كلية محترمة ـ حسب تعبيره ـ مع الاحترام الموفور لغيرها ، وأنا عندها لا علم لي ولا رأى في هذه المسألة ، أو في غيرها.

وكانت دار العلوم الأنسب لي ولخلفيتى ، حيث حفظت القرآن في كتاب الشيخ محمود عيسى ، وهو الكتاب الأشهر في بلدنا ، ثم دخلت إلى معهد ههيا الديني الإعدادي ، وكانت مدة الدراسة أربعة أعوام ، ليس ثلاثة ، كما كانت الشهادة تسمى الابتدائية لا الإعدادية .

وبذا أهلنى هذان العاملان للالتحاق بدار العلوم التي كانت في شارع المنيرة الموازى لشارع القصر العيني ، وبالقرب من ميدان التحرير .

وكانت دراستي في دار العلوم وإقامتي في القاهرة نقلة مهمة في حياتي ، في السنة الأولى حاولت الدخول إلى المدينة الجامعية الخاصة بطلاب محافظة الشرقية ، لكن عضو مجلس الشعب الذي وسطاه في المسألة لم يحرك ساكنا ، ولن يتفوه بكلمة في الموضوع ، إذ أثر عنه أن بيته الواسع كان له بابان إن جاءه ضيفان من باب هرع إلى الآخر ، يولى الأدبار ، ولا يعقب ، وفى ١٩٦٧ المشئومة رابطت على

مدخل بلدنا في خيمة مع بعض الأتراب ، وجاء الرجل زائرا لنا باعتباره عضوا في مجلس شعبنا فسألني عن اسمي ، فذكرت فلان بن فلان ... طالب بكلية دار العلوم ، وأردفت : قد وسطناك في دخول مدينة الشراقوة ، فلم نوفق ... فطيب خاطري مجاملا ببضع كليمات .

وعليه فقد أقمت عند أحد أخوالي في حي عابدين بالقاهرة ، صاحب البيت موظف في وزارة الخارجية المصرية ، أبوه كان من مدرسي اللغة لفرنسية ، وأحد أخويه حاصل على الدكتوراه من فرنسا ، ويعمل موظفا مدنيا في وزارة الحربية .

الدكتور الشقيق كان يأتي في كل ليله يجلس في حجرة مقتطعة من شقة خالي المؤجرة ، يأتي بالليل يجلس لأصدقائه وزواره ، وربما بعض الدروس الخصوصية.

وبما أنه كان يجلس في كل ليلة فقد جلست معه ، وتوطدت العلاقات ما بيننا حتى زرته في بيته ، فذكر لي أنه كان يدرس اللغة الفرنسية لأستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين في المركز الفرنسي الذي يقع أمام بيته ، وبالقرب من كلية دار العلوم .

طلب مني أن أساعد ابنته في دروس اللغة العربية ، وقد سعدت بهذا ، وانتهى الأمر بطلب يدها ، ولكن الموضوع فشل ، نهاية على غير وفاق مع الأفلام العربية القديمة .

بل إنني أردت الزواج من إحدى المدرسات التي تسكن أسرتها أمام شقة خالي وكانت تعمل في تدريس اللغة العربية بإحدى محافظات الوجه البحري ، ولكن هذا الموضوع فشل أيضا .

بل إن أمي ذهبت لخطبة بنت صاحب البيت وكانت تدرس في كلية الطب ، ليس لي ، ولكن لشقيقي (المهندس) ولكن هذا الموضوع فشل أيضا ، ويبدو أن الناس في القاهرة كانوا ينظرون لنا ولأسرتنا على أننا ريفيون ، وهم في القاهرة ، ولا يعرفون دنيا غير دنيا القاهرة .

ولكن هذا الخال كان له فضل كبير عليَّ حيث إنه أول من اكتشف لدى روح الدعابة ، وسرعة البديهة ، بل كان متفهما لشخصيتي وقدراتي ، ومن ثم كان يحاجج عنى في أسرتي التي تنعت ابنها الأكبر بكل السذاجة والغفلة ، بل وصفوا هذه العلاقة بيننا بأن خاله هو الذي يقوده ، أو كما قالوا.

وعندما كانت أسرتي تتصور هذا ، وإذا جاءنا ضيف أو أرسلوني في طلب ، كانوا يشرحون بالتفصيل ماذا أقول ، وماذا على أن أفعل .. إلخ ، وكان خالي يقول لهم عنى هو المتعلم فيكم ، فهو الذي يقول لكم ماذا تقولون وماذا عليكم أن تفعلوا .

بل إنني في بعض الأحيان كنت أقوم وأقول على العكس من الحوار المرسوم ، والسيناريو المتكامل المسطور لي ، وكنت أنال التقريع المناسب أو كما كنا نسميه الواجب ، في كتاب محفوظ في الصدور ، لا في السطور ، فلكل مخالفة من قبلنا لها الواجب المناسب من قبل رب الأسرة .

زوجة خالي كانت ربة ممتازة وطاهية ماهرة ، كم أتحفتنا بالطعام البلدي البيتى عالي الجودة ، برغم أنها أمية لم تقرأ ولم تكتب إلا أنها كانت تعيب على خطى - برغم جماله الواضح - وتنعته وتشبهه بـ (نكش الغراب) لشدة رداءته في نظرها ، ولله في خلقه شئون وشجون ، كان خالي - كما شقيقه - يعملان في وزارة الصحة ،

أحدهما يعمل في مكتب الوزير ، ومن أسكن معه كان يعمل في معهد الحشرات في حي الدقي ، بالنهار وكان هذا عمله ، ثم يذهب بعد الغداء ليعمل في مكتب أحد المحامين المشهورين بحي شبرا ، ويأتي بعد منتصف الليل .

وكان الرجل كريما مضيافا ، لا يرى أحدا من أهل بلدتنا في القاهرة ، أو يقابله إلا أتى به إلى شقته ذات الحجرتين في الدور الأرضي فقد كان شديد السعادة والفخر بها .

وقد تعلمت هذا المنحى منه (ذرية بعضها من بعض) إذ رأيت أن الله بارك له في صحته ونسأ في عمره ، وبارك في أبنائه بسبب كثرة من استضاف في شقته .

في وقت لاحق طلق هذا الرجل زوجته ـ نهاية سبعينات القرن الماضي ـ وكان أنجب منها بنتا واحدة ، تزوجت ابن عمها في بلدنا ههيا ، وعاشت معه حتى أصبح لها أحفاد من أبنائهم ... وفجأة قرر أبوها التزوج من أختي ـ فقد كان ابن عم أمي ، ليس أخا لها ـ أي خنولة غير مباشرة ، وتم الزواج وأنجب ولدا من شقيقتي ، ولكن أختي ما لبثت أن ماتت بعد ولادة ابنها ، ماتت بمرض لم نعرف له طبا ولا دواء ، وعندها قرر قريبنا السفر إلى السعودية ، وترك لنا الابن محمد الذي تربى معنا حتى تزوج وأنجب ، ثم سافر إلى محمد السعودية هو الآخر، وبقى إلى الآن ـ ٢٠١٦م ـ مع استمرار علاقته بنا ـ نحن أخواله والخالات ـ سيما الأم التي تعتبر هذا الحفيد ابنا لها.

نعود لحى عابدين في القاهرة لنشير إلى أن صاحبة البيت كانت زوجه ذات وجاهة وفصاحه وكلمة نافذة في بيتها ، فكانت تسكن مع أسرتها الذي يلينا في الطابق ، وكان يعرف عنها أنها اعتادت سماع برنامج إلى ربات البيوت الذي كانت

تقدمه الإذاعية صفية المهندس (ت ٢٠٠٧م) شقيقة فؤاد المهندس (ت ٢٠٠٦م) والاثنان أبناء زكى المهندس الذي كان عميدا لدار العلوم - ١٩٤٥ - ١٩٤٧ م - كما عين عضوا بمجمع الخالدين ١٩٤٦ م وتوفى عام ١٩٧٦م.

حتى اجتذبني هذا البرنامج ، وخاصة مقدمته السيدة صفية المهندس ، والرد على الرسائل التي ترد إليها في برنامجها .

السيدة هذه كانت تسمع هذا البرنامج ، وهى تعمل في منزلها ، وبعد الانتهاء من ترتيب منزلها تنزل إلى نادي عابدين ، ثم تعود قبيل عودة زوجها من عمله .

وكان لصاحب المنزل ولدان وطبيبة في كلية الطب ، والولدان التحقا بكلية التجارة .

وفى القاهرة رأيت لأول مره في حياتي من يتغذى في بيته في نهار رمضان ، وفى تلك الأسرة تصوم الزوجة وأبناؤها ، ولكن الأب لا يصوم ، ولا يصلى .

وفى القاهرة أيضا رأيت الموظف الذي يطلب رشوة (عشرة قروش) بالقاف لا بالكاف .

وفى كلية دار العلوم شافهنا الأكابر من علماء العربية د. أحمد هيكل ، د . عبد الحكيم حسان ، د . نبيه حجاب ، الشيخ عطية الصوالحي رحمهم الله جميعا وغيرهم ممن استمتعنا بفصاحتهم ، أو أعجبنا بشخصياتهم ومحاضراتهم وأسلوبهم معنا وتعاملهم الطيب الناجح معنا .

وبرغم من قليل المضايقات من الطلاب في دار العلوم أو المدينة الجامعية أو في سكن عابدين فإن انتقالي إلى الكلية وإلى القاهرة ، كان نقطة تحول في حياتي لعدة أسباب :

١- الاحترام الذي لقيته من أساتذتي وزملائي وجيران السكن في عابدين ، ثم المدينة الجامعية .
٢- الصداقات المعمقة مع زملاء في الكلية ، سيما صديقي وزميلي مدحت الخواجة من المحلة الكبرى .

وبذا شهدت حياتي انعطافة خطيرة ونقلة كبيرة ، حيث وجدت نفسي أتكلم فيصغى مستمعي ، بل ويعجبون بما أقول ، أقفش القفشات وألقى النكات فيضحك الناس ، وهكذا بدأت الثقة بالنفس تزرع زرعا في نفسي ، بعد طفولة وصبى نشتم ونلام على كل حركة وكليمة نتفوه بها ولا ننعت ولا نوصف إلا بكل لوم وتقريع .

أبى - رحمه الله - حاول خلال هذى السنة التي سكنتها مع خالي أن يقدم لي في مدينة الشراقوة ، وقد نجح بمعونة رئيس مدينة ههيا آنذاك -١٩٦٧م - الأستاذ مصطفى القاضي ، ووفق الرجلان في إلحاقي بالمدينة المذكورة .

هذى المدينة كانت تقدم وجبتين فقط في اليوم ، في حجرة مشتركة مع الزملاء الشراقوة في مختلف الجامعات خاصة جامعة عين شمس - في العباسية - وجامعة الأزهر - في مدينة نصر - وأحيانا من حي الحسين ، أما طلاب السنوات النهائية ، فكانوا يحظون بحجرة خاصة ، وإن كانت صغيرة جدا .

وكنا ندفع جنيهين ونصف الجنيه شهريا ، فضلا عن جنيه واحد فقط لا غير مصروفا شهريا وبعد نكسة ١٩٦٧ زادوا المصروفات جنيها شهريا فصارت ٣ ونصف الجنيه في الشهر الواحد ، ولكن بقى الجنيه الواحد الموحد مصروفا لنا في الشهر .

من هذا الجنيه نشترى وجبة ثالثة ، والمواصلات في القطار من الزيتون إلى محطة كوبري الليمون ، ثم من رمسيس الباص إلى شارع القصر العيني على غير مبعدة من مبنى دار العلوم الخشبي ، وأهم من هذا كله شراء الكتب المذكرات التي كانت بجملتها أقل من عشرة جنيها ، زد على ما سبق أنه قد يبقى من الجنيه هذا المصروف الشهر الضخم ما نُمنّحِه به أنفسنا ونمتعها بشيء من الرفاهية .

أذكر أنه كان من قمة الرفاهية (والمنجهة) هو زجاجة لبن مبستر من شركة مصر للألبان ، سعرها قرش ونصف ، فإن بلغت الرفاهية قمتها اشترينا زجاجة لبن مبستر كبيرة ، سعرها قرشان ونصف (خمسة تعريفة) فسبحان العاطي الوهاب .

ومن عجب أن أبى ـ رحمه الله ـ كان يضرب كفا على كف متعجبا (أنا لا أدرى من يضحك على هذا الولد ويأخذ منه فلوسه!!) أية فلوس (يا دادى) هو جنيه واحد ولكن هذى كانت خريطته عن ابنه الأكبر ، بل إن أبى كان يرسل مع الفلوس في كل شهر نصيحته المؤكدة : (أبوك يقول لك : لم على إيدك ... أو على إيدك شوية) أي حاول الاقتصاد والتدبير ، أي اقتصاد يا رجل ، إنه جنيه واحد يا أخا بني يعرب.

على أي الأحوال بقيت في مدينة الزيتون ثلاثة أعوام ، من سنة سبع وستين إلى عام سبعين ، حيث تخرجت في كلية دار العلوم في دور مايو ١٩٧٠ م ، وكان

تشوقي أكون معيدا ، ولكن ترتيبي في دفعتي لم يسعف ، ومن ثم كان تطلعي للالتحاق بالدراسات العليا ، وهو ما تم فور نقلى من محافظة المنيا إلى محافظة الشرقية .

وفى كلية دار العلوم تعلقنا بأستاذنا الدكتور كمال بشر - رحمه الله - كان شديد التفاعل معنا والحدب علينا ، كان يقف معنا في حوش الكلية في المبنى الخشبي العتيق إذا رأى القميص مفتوحا حاول أن يغلقه بيديه في خطوه حانية كانت تثير إعجابنا .

وفى المحاضرات يتكلم عن طلابه أمامهم شارحا أحوال الطلاب أمامه ، واحدا واحدا ، هذا الطالب يذاكر بكثافة ليكون معيدا ، وبالفعل كان هذا الطالب معيدا بالكلية طالب آخر كان يقول عنه : هذا الولد يحلم ببدلة جديدة ، نعم سيدي كنا نحلم ببدلة جديدة قشيبة .

وعليه فقد انتهينا إلى محبة أستاذنا والبشر والكمال ، ومنها إلى محبة لتخصص أستاذنا (علم اللغة) وهو ما فيه تخصصنا ، وفيه رغبنا وأحببنا.

في كلية دار العلوم أيضا اشتركت في أنشطتها (اللاصفيه) وفى مظاهرات ١٩٦٨ الطلابية احتجاجا على الأحكام التي أصدرها القضاء على قادة القوات الجوية المسئولين عن تدمير الطيران المصري في حرب ١٩٦٧ .

ومن الكلمات التي لا نزال نذكرها عن أستاذنا د. أحمد عبد المقصود هيكل أنه كان يقول لنا ، ونحن في الفرقة الرابعة بأنه يتمنى أن يعطينا كتابه مجانا ، وكان

كتابا ضخما نشرته دار المعارف القاهرية ، وكان يردف ، وهذا ليس صعبا ، إن منحه الله جائزة ـ أي مالية ـ فإن هذا يمكن أن يتحقق وبسهولة ، فكان هذا يسعدنا كثيرا .

أحد أساتذتنا المحبوبين كان يقول لنا عند تشكيل أية وزارة جديدة : إنه ينتظر هاتفا من عبد الناصر لتوليه إحدى الوزارات ، فعنده ملفات جاهزة لحل مشكلة فلسطين ، وهنا بهبج الطلاب بالتصفيق الحاد ، وعندما وجدوا ميل أستاذنا للتصفيق تمادوا فيه .

وفى إحدى المرات ونحن في السنة الرابعة قال لنا : إن طلاب السنة الأولى صفقوا أكثر منا ــ نحن طلاب الفرقة الرابعة ــ يا للهول ويا للعار والشنار !! وهنا أخذتنا حمى من التصفيق موحدة مرتبة حتى كاد المبنى القديم يخر لله ساجدا من هول ما فعلنا ، ولكن أستاذنا هذا برغم كل هذا كنا نقدره ونحترم آراءه ، وما زلت أحتفظ بكتبه التي درسها لنا .

عميدنا المهاب أيامها الدكتور محمود قاسم ـ رحمه الله ـ كان يقول لنا إذا دخلت الكلية وسمعت التصفيق عرفت الزميل الذي يصفق له الطلاب ، وكان محقا في كلامه .

عميدنا المهاب عندما كنا نكلمه كنا نعد الكلام قبل الكلام إليه ، بل سمعت أن أساتذة الكلية كانوا يرتبون كلامهم قبل الكلام معه ، وكان يدرس لنا الفلسفة الإسلامية ومناهج البحث ، ويكثر الحديث عن ابن رشد الفيلسوف الأندلسي الشهير

(ت٥٩٥هـ) ويهاجم منطق أرسطو ، ويشبهه بمعوق يسير إلى جانب طوابير من الجنود الأقوياء الأصحاء ، ثم يتصور هذا المعوق أنه يقود هؤلاء الجنود الأشداء .

وأذكر من كلامه الذي لازلت أذكره أحفظه :

إن شيوع الفكرة ليس دليلا على صحتها ، بل على العكس كلما كانت الفكرة شائعة كانت خاطئة ، فإن أكثر الأفكار شيوعا أكثر خطئا ، أو أكثرها خطأ .

المقامة القاهرية
مشوار الدراسات العليا

فور تخرجي عام ١٩٧٠ في كلية دار العلوم جامعة القاهرة عينت مدرسا في محافظة المنيا ومن ثم كان من الصعب الالتحاق بالدراسات العليا في القاهرة ، وتصبرت حتى نقلت إلى محافظة الشرقية ، وهنا التحقت بالدراسات التمهيدية عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ وكانت المسألة شاقة جدا ، كنت أسافر بالقطار إلى مدرستي في مدينة أبو كبير التي تبعد عن سكني حوالي ١٠ك.م ، وبعد الدراسة أسافر إلى القاهرة لحضور محاضرات الأساتذة ، وكانوا ٣أساتذة ، د. كمال بشر ـ رحمه الله ـ د. إبراهيم برج للغة العبرية د. السعيد بدوي للأصوات ، وحاولت حل المعضلة سواء مع هؤلاء الأساتذة أو مع نفسي ، وقد رق لحالي د. كمال بشر، والذي من اجله أحببنا ـ أنا وزملائي ـ هذا العلم بسبب إعجابنا الشديد بشخصية أستاذنا ، وكنا ثلاثة ؛ واحد متخصص في اللغة الفارسية ، وآخر في اللغة العبرية وأنا في علم اللغة ـ حيث اسم القسم علم اللغة والدراسات السامية: (أي العبرية) والشرقية (أي الفارسية).

حكى لي زميلي في اللغة الفارسية أنني كنت آتى من السفر إلى المحاضرة ووجهي شديد الحمرة من السفر، وكان الدكتور كمال يقول : (هل تأتي من الزقازيق من أجل علم اللغة ؟) بلى يا سيدي ، ومن أجل حبك أنت!!.

وأذكر أنني حاولت دراسة دبلومة في تربية الزقازيق، لكنني ما أفلحت، فما كان مني إلا الاستمرار في الدراسة بالقاهرة.وفي الدراسات التمهيدية كتبت بحثين عن ابن جنى وعن الكتاب ومغني اللبيب لابن هشام، كانا مثار إعجاب أستاذي

الدكتور بشرفكان تعقيبه : (الولد دا بيهبش) يحاول باستماتة ، من التهويش والتهبيش برغم السجع بين الكلمتين.ومرة أخرى، قال عني بأني لدى قدرة على التحليل، وهذا حق وصدق، ففي كل أمر أحلل وأحلل.

أحد زملاء دفعتي ١٩٧٠ قال عني أمامي في مقابلة قريبة في جامعة دمياط – وقد زاد عن السبعين سنة - قال : (الدكتور أحمد - طوال عمره - كان طالبا نابها) وقلت في نفسي : كنت بحاجة لهذا الإطراء عندما كنت طالبا في دار العلوم ، لكني ما سمعتها إلا بعد أن اقتربت من السبعين سنة، ليت الشباب يعود يوما!! وفي البدء وفي النهاية إطراء مجاملة.

أذكر في الدراسات التمهيدية د. إبراهيم برج الذي قابلته في التسعينات من القرن الماضي ، وتذكرت أنه درس لنا العبرية في الدراسات التمهيدية ، وكانت معه المذكرات المقررة علينا ، فقلت : أهذي المذكرة المقررة علينا ؟ نعم ، ألم تشترها ، قلت : لم أشترها ، وكانت سعرها ٣٥ قرشا ، فأعطاها لي هدية فشكرته وتعلمت السخاء في إعطاء الكتب المقررة والمذكرات مجانا للطلاب ، حتى قالت إحدى طالباتي لأبيها عني : (الدكتور أحمد كمن زرع زرعة يخرج نصفها مجانا للطلاب).

وبعد هذي المعاناة الشديدة في هذه السنة ٧٢ -١٩٧٣، رأف بحالي د. كمال - وكان رئيسا للقسم - مسمح لي بدخول الامتحان ، وكانت هذه مكرمة من الرجل تذكر له وتحمد.

ودخلت الامتحان وحصلت على تقدير (جيد جدا) وبدأت مرحلة التسجيل للماجستير فأحالوني لأستاذي عبد الصبور شاهين - رحمه الله - حيث بدأت رحلة

البحث عن موضوع مناسب ، وكلما اخترت موضوعا لم يرق لأستاذي ، فاخترت موضوعا عن نطق الأصوات على لسان مثقف قاهري، كان طالب سجله ولم يستمر في دراسته ، وعندما عرضته على الأستاذ الدكتور عبد الصبور رفض بشدة قائلا : هل ترضى لأحد أن يأخذ موضوعك ؟! قلت : كلا ، والله كلا ثم كلا ، قال : إذن لا تأخذ موضوع غيرك.

وبعد أن ترددت على أستاذي ثلاثة أشهر، أجلسني إلى جانبه قائلا ، سندرس قراءة أهل المدينة في القرن الأول الهجري ، ثم شرح الخطة ، وقال : هل تستطيع أن تكتب هذا الكلام ؟ نعم بكل سرعة ، وطرت إلى أقرب مكتب آلة كاتبة ، وكتبت الخطة في صفحتين ، وقلت في نفسي ساعتها : إذا رفض الدكتور عبد الصبور الخطة فسأقوم على الفور بتمزيقها في داخل الكلية ثم لا أعود إلى الكلية أبدا ، وللمفاجأة فإن الدكتور عبد الصبور قبل الخطة وسجل الموضوع بعنوان :

" قراءة المدينة في القرن الأول الهجري، دراسة صوتية ـ تاريخية "

وعملت بجد ، واصلت الليل بالنهار أعمل في الرسالة ، حتى كانت أمنية أن أنام ربع ساعة بالنهار ، في الصباح أذهب إلى مدرستي في أبو كبير بالقطار في السابعة والنصف صباحا وأعود في قطار الواحدة بعد الظهر خلال عشر دقائق يعود القطار إلى ههيا ، أغير ملابسي بسرعة ، ثم أتغدى سريعا ، وأستريح وأنا جالس ربع الساعة فقط ، في الساعة الثانية بعد الظهر أبدأ العمل إلى الليل ، وهكذا وهكذا، من أبو كبير إلى ههيا إلى القاهرة ، والعكس بالعكس صحيح، حتى قال أستاذي د. عبد الصبور في المناقشة : إن أحمد كان يأتي من أبو كبير أو ههيا على أرجح الروايات !!.

وذهبت بعد أحد عشر شهرا لأقدم الرسالة إلى مشرفي ، قابلني د. كمال بشر في مبنى الكلية القديم في شارع المبتديان والذي نقلت إليه الكلية عام ١٩٠٠م، ونقلت منه إلى مقرها الآن في جامعة القاهرة في عام ١٩٨٠، وتحول المبنى الخشبي القديم إلى حديقة باسم دار العلوم [1] الذي درست فيه : ١٩٦٦ - ١٩٧٠ حيث تخرجت ، بل نوقشت في الماجستير فيه عام ١٩٧٧، وفي الدكتوراه عام ١٩٨٣ نوقشت في المبنى الجديد في جامعة القاهرة.

نعود إلى الماجستير بعد أن خرجنا منه الآن إلى قصة المبنى القديم قلت قابلت أستاذنا الدكتور كمال في المبنى القديم الذي سألني بإعجاب كبير : (هل أنجزت رسالتك في الأصوات في ١١ شهرا !!) هذا ما حصل وكان الرجل لي ولتلامذته حبا واضحا وحدبا رقيقا.

سلمت الرسالة لأستاذي الذي قرأها عدة مرات، حتى بدا على أبي القلق فذهب من نفسه دون أن يكلفه أحد لأستاذي الدكتور عبد الصبور الذي لامني بطريقته الخاصة (باعت لي أبوك يا أحمد يا أبو الخير!!) وما استطعت أن أقول شيئا ، لا لأبي ولا لأستاذي ، وبقى الدكتور عبد الصبور يسألني عن أبي ويرسل سلامه إليه حتى سألني آخر مرة عام ١٩٩٧، فقلت له: رحمه الله، أي أبي ، فبدا التأثر عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان.

---

(١) تحول المكان بعد إزالة المبنى إلى ما يسمى حديقة دار العلوم كي يستمتع جيران المبنى بمساحة خضراء يستمتعون بهوائها ، إلا أن هؤلاء الجيران يشكون الضجيج الناتج عن إقامة الأفراح في المكان.

وانتهت قراءة أستاذي لرسالتي ، وهنا برزت مشكلة ، لقد اختلف أستاذي معي في مسألتين هما : (هل عند الإخفاء يخرج الهواء من الأنف فقط ، فهي صوت أنفي ، أم يخرج من الأنف والفم، فهي صوت أنفي ـ أو أنفي فموي).

والمسألة الثانية هل الراء الساكنة والمشددة ـ بالأحرى ـ هل مكررة بمعنى تكرار ضربات اللسان على سقف الحنك ، ومن ثم وصفت الراء بأنها مكررة ، أم أنها مكررة بمعنى أنها قابلة للتكرير ، فلا تكرر ، لأن هذا عيب من عيوب القراءة.

وأحالني أستاذي إلى الشيخ عامر عثمان ـ شيخ المقارئ المصرية الأسبق ـ الذي أيد رأيي ـ رحمه الله ـ فنص على أن الراء ليست مكررة في قراءة القرآن الكريم، إنما في غير القرآن فلا يصح للقارئ أن يكررها ، وهذا ما نصت عليه كتب التجويد والقراءات على كثرتها.

ولكن أستاذي لم يقتنع بما نقلته عن الشيخ عامر ، أما أنا فقد انتهزت الفرصة لحضور المقرأة التي كان يشرف عليها في "مصر للبترول" ـ حماها الله وحفظها ـ ثم عرض نماذج من قراءاتي برواية ورش ورواية حفص ، وجالست الشيخ عامر عدة مرات ، وسمعت منه ، وإن كان صوته قد بح في أخريات حياته.

كما وافقني الشيخ في أن الإخفاء ـ في نطقه ـ صوت يخرج هواؤه من الفم والأنف في وقت ، ولكن أستاذي لم يقتنع ، ورأى أن المسألتين تحتاجان إلى تجارب في معمل الأصوات ، وهنا بدأت الحكاية.

في البداية توجهت إلى معمل الأصوات بالكلية الذي أمر عليه ، وعليه قفل ضخم شبيه بأقفال مساجد موسكو في الحقبة السوفيتية ، وكان علي أن ألجأ إلى

المشرف عليه الذي ماطلني بأعذار ملفقة مختلفة سبعة أشهر ، بعدها قال لي : (إن هذا الموضوع لا تصلح التجارب فيه) وهنا نفد صبري والتقت حلقتا البطان ، وكان عليّ أن أخبر مشرفي بهذا ، فطلب مني الذهاب إلى معمل الأصوات في الإسكندرية وعندها قابلت الراحل كريم : (بخاطره الشافعي) ـ ت ١٩٨٥ ـ ورأيت معمل الأصوات لأول مرة في حياتي بعض الأجهزة مثل (السونجراف) وبعض الصور والمجسمات وأجهزة تسجيل ـ كما أتذكر ... الخ.

صديقي (بخاطره) قال لي بحزم بعد أن حكيت له الحكاية : (دونك الأجهزة والمعمل ، فاصنع ما تشاء ـ دون أي تطرق لذكر اسمنا أو إشارة لنا ، من بعيد أو قريب) وأني لي هذا ، وأنا لا علم لي بهذي ، ولكنه أردف أن دورة عن الصوتيات برعاية مؤسسة فورد الأمريكية سوف تعقد قريبا ، ربما كانت في أغسطس ١٩٧٥ حيث كانت تستعر الحرب الضروس ضد الفلسطينيين في معسكري صابرة وشتيلة ، وقال صديقي في الدورة سيأتي بروفيسور كلاس كريستيان إيلرت رئيس معهد الصوتيات في جامعة (أميو) في السويد.

وبالفعل جاءت الدورة ، وجاء البروفيسور إيلرت وشرحت له الحكاية ، فرأى أنه من خلال النطق يرى ما أنطقه من الإخفاء هو صوت أنفي ـ فموي ، والأمر لا يحتاج إلى تجارب معملية ، بل يكفي أن تنطق بذياك الصوت ، وتضع ورقة بين الأنف والفم ، ثم تقرب المرآة أثناء النطق ، فإذا ظهر أثر التنفس أعلى الورقة كان الصوت انفيا ، وإذا أثر التنفس أعلى الورقة وأسفلها كان الصوت أنفميا ، كان هذا رأي البروفيسور إيلرت ، فأما الراء هل هي إذا كانت مشددة أو ساكنة ، هل هي مكررة أو لا ؟ فذكر إيلرت أنه لا يستطيع الحكم على هذا النطق العربي.

ثم ذكر إذا كان ولابد فأرسل لي شريط تسجيل وأنا أجري لك ما تريد من تجارب ، وبالفعل اخترت أحد القراء المجودين من أصدقائي مطمئنا - تماما إلى نطقه - ثم أرسلت التسجيل إلى البروفيسور إيلرت الذي أجرى كل التجارب المطلوبة ، ثم أرسل رأيه أيضا ، وهو لا يختلف عما سبق من التجارب.

طبعت الرسالة وألحقت معها بصور جهاز (السونجرام) ولكن اللجنة ما اقتنعت بشيء من كلامي ، بل اتهموا مساعد البحث بأن نطقه هذا نطق لهجي وخاطئ ، وإذ بالرجل يماشيهم وينطق بما يريدون وهكذا كان رأي اللجنة التي استمرت في نقاشي خمس ساعات كاملات كوامل، جاء وقت المغرب فذهبنا جميعا للصلاة في المسجد ، وبعد الصلاة استؤنف النقاش حتى شعرت أنني مخدر مخدر ، لا أحس بشيء حولي ، وهذا ما وصفه لي أحد الحضور من المقربين إليا - إلي - وكان ما وصف حقا حقا ، وصدقا صدقا.

الدكتور إبراهيم نجا كان أطول المناقشين نفسًا ووقتا ، إذ استمر معي ٣ ساعات ، لكنه سعد بأنني خريج ثانوية عامة وليست أزهرية ، ودخلت في هذه الدراسة العلمية الصعبة ، وانتهت اللجنة إلى اقتراح منحي درجة الماجستير من (قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بتقدير (جيد جدا) وكان هذا عام ١٩٧٧.

وكنت أجلت تجنيدي حتى ذياك التاريخ ، ففاتت عليّ فرصة الاشتراك في حرب الاستنزاف التي بدأت من ١٩٦٧ إلى انتصار ١٩٧٣، وكلا الحربين كان الرئيس جمال عبد الناصر قد أعد لهما إعدادا جيدا حتى مات عام ١٩٧٠م، فجاء السادات الذي لم يك أمامه اختيار إلا الحرب والتي دارت رحاها ١٩٧٣.

دخلت عام ١٩٧٧م إلى الخدمة العسكرية، في أحد مناماتي رأيت ضابطا رفيعا يناديني من على جذع شجرة ، يقول : (أريدك أنت) وبالفعل ذهبت إلى مركز التجنيد في الزقازيق ، ومنه إلى مركز تدريب المشاة الثاني في حي المعادي جنوب القاهرة.

قضينا فترة التدريب كانت قاسية جدا لدرجة أن أبوي طلبا من أخي الأصغر اصطحاب أحد زملائه الذي كان ضابط احتياط في القوات المسلحة إلى زيارتي في المعسكر وأخذ أجازة لي من المعسكر ، وبمجرد أن رآني الرجل رق لحالي ، وتأثر لدرجة الشتم واللعن ، لما رآه من التعب على وجهي.

في فترة التدريب هذه والتي استمرت قرابة الشهرين ، عانيت معاناة شديدة ، وخاصة من الأكل الميري ، ولذا إذا ذهب أحد في أجازة ثم عاد إلى المعسكر أحضر معه طعاما مدنيا من بيته ، ثم نادي على خلصائه وحلفائه خلف الخيمة خلسة بعيدا عن أنظار الآخرين لبعض من زياك الطعام الذي كان بالنسبة لنا فاكهة عزيزة لذيذة غالية ، حتى الماء من البيت كان له طعم ونكهة لا مثيل لها.

في هذه الخيمة كنا نخرج وندخل فلا يصاب أحد بنزلة برد أو ما أشبهها لأن الهواء كان دوما متجددا ، وفي هذه الخيمة دارت مناقشات بيني وبعض المسيحيين كان بعضهم يعد نفسه كقسيس ، وحاولت أن نتفاهم بهدوء ، وكل ميسر لما خلق له، لكن ربطت بيني وبين كثير من رفقاء الخيمة علاقات وطيدة امتد بعضها إلى ما بعد خدمة العلم.

من أهم الأحداث التي وقعت لي أنني ألقيت سلاحي قليلا لكي أتبول ، ولكن قائد السرية أخذه وأخذ بعض الأسلحة من زملاء آخرين ، وكان موقفا عصيبا ،

حاولت مع بعض الزملاء إقناع قائد السرية برد السلاح لكنه أصر على رأيه ، وبالفعل حمل الأسلحة المسروقة ، كل سلاح مع عسكري من السرية ، وما كنت أخشاه أن يسرق جزء من هذا السلاح ، وهنا كان لابد أن أحاكم.

في النهاية بدت لي فكرة ، وهي أن أقف خلف الجندي الذي يحمل سلاحي إلى أرض الطابور الذي يضم المركز كله ، وتربصت بحامل سلاحي وأنا أسير خلفه من خيام السرية إلى أرض الطابور ، ووقفت خلف الفتي متربصا حتى إذا ما حانت الفرصة أمسكت السلاح من خلف ظهره ، وهو يحمله على كتفه وجذبته فجأة وبكل قوة ، فوجدته ـ أي السلاح ـ في لحيظة في يدي، التفت الولد مذعورا قائلا : (هات السلاح يا عسكري) هات السلاح !! هيهات هيهات ، لقد انتهى الأمر جاء قائد السرية بعد أن لاحظ قائد الطابور حركة عادية فصرخ : (العسكري العسكري ..) لكن ما التفت لشيء من هذا ، جاء قائد السرية وأمرني بإعطاء السلاح للعسكري ، لكن كان ردى بهدوء شديد : (أنت سرقت السلاح وأنا نتشته ، الآن خذني إلى وزير الدفاع ...).

وبعد الطابور سلمت سلاحي ، ووقع المستلم على هذا الاستلام ، أما سارق السلاح فقد أخذني إلى الضابط المختص قائلا له : (أنا سرقت السلاح من العسكري ده، وشيلت السلاح للعسكري ده ، قام العسكري ده نتش السلاح من العسكري ده) يعجب الضابط : (العسكري ده نتش السلاح من العسكري ده) يكررها عدة مرات ، وسارق السلاح يقول له : (العسكري ده نتش السلاح من العسكري ده) وكلما كُررت العبارة أمامي تظاهرت بالمسكنة والخوف.

وفي النهاية قال الضابط : (احلق له زيرو) وقبلها بأسبوعين ، حلقنا نحن جميعا بأمر قائد المركز زيرو ، لكني من ساعة أن خطفت السلاح وأصبح السلاح في يدي اعتبرت أن الأمر انتهى ، وكل ما جاء بعده لا قيمة له من بعيد أو قريب.

ذهبنا إلى الحلاق لتنفيذ الأمر حيث غنى وغنى يريد أجرة على حلاقته ، ولكني ما التفت إلى شيء مما قال ، وكأن شيئا لم يكن ، مع كثرة تهديده وعديد وعيده ، مثل : ما لون هذه النظارة ؟ بيضاء ، يرد سنجعلها كحلي كحلي ، وأنا ثابت الجنان ، ما يهزنا شيء من كلامه.

وبعد الحلاقة ذهبت إلى السرية لقد انتهى الغداء ، ولم يعد شيء لي ، لكن الضابط المناوب جاء للتفتيش فسأل هل أحد لم يتغد ؟ فرفعت يدي وقتها : أنا ، وهنا وبخ الضابط عريفَ السرية ، وقال : أعطه من عشائك ليأكل ، وبمجرد أن انصرف الضابط بدأ العريف يفرد لي الملاية ويلومني لماذا قلت للضابط ما قلت ، قلت سألني وأنا أجبته ، وجاءني بصبابة من طعام وبعض الخبز ، وبالفعل أكلت ، لكن سألني : (إنت معاك إيه ؟) وأدركت مرامه ، إنه يريد أن أقول : (معي ماجستير) فيقول (طز) فكان ردي : (أنا ما معي شيء) وأظهر أن يدي ليس فيها شيء ، ويرتفع صوته صارخا : (إنت بتستهبل يا عسكري) وسألني مرة أخرى : ماذا تعمل ؟ مدرس مساعد في تربية كفر الشيخ ، كم راتبك ؟ سبعون جنيها ، رد بأن عنده في القاهرة في الحي الفلاني محلان ، ومحل آخر في غيره كلام من ليس له الإعراب محل.

وفي إحدى الإجازات وفي يوم جمعة ركبت حافلة من الزقازيق إلى ههيا ، وكان يبدو على وجهي الشمس والتعب ، وقد حلقت شعري زيرو مرتين ، وكانت

الحافلة تحمل المدرسين بعد التصحيح وكلهم يعرفوني ؛ ولذا غرقوا جميعا على آذانهم من الضحك على منظري ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، العلي العظيم.

ثم نقلنا إلى كتيبة المشاة الميكانيكية في منطقة الجفرة بين القاهرة والسويس، حدثت بعض الأحداث والمشادات ، وكنت أنتقل ساعتها من العمل بالتربية والتعليم بمدرسة أبو كبير الثانوية التجارية بمحافظة الشرقية إلى كلية التربية بكفر الشيخ ، وعندها كان على استغلال هذه الفرصة لأخذ إجازات إلى بلدنا ههيا لمتابعة عملية النقل هذي والتي كانت صعبة ومتأزمة في بعض المحطات ، منها أن الجامعة طلبت مني مفردات مرتبي قبل التعيين عندهم ، أي مرتبي في التربية والتعليم ، أما الموظف المختص في التربية والتعليم فأصر على أن مفردات المرتب لا تعطى إلا بعد صدور قرار التعيين ، هذا مأزق من المآزق التي يتعرض لها المواطن المسكين في مصر.

وفي النهاية حصلت على مفردات مرتبي من التربية والتعليم خلسة عن طريق أحد أقاربي الذي كان يعمل في إدارة ههيا شرقية، وانحلت العقد، ولكن بعد جهد جهيد وألم شديد.

وصدر قرار تعييني في تربية كفر الشيخ عام ١٩٧٨، ولكني ما تسلمت العمل إلا بعد خروجي من الجيش عام ١٩٧٩.

على أي حال فإن الكتيبة ما بقيت في الجفرة ، ولكن نقلت إلى سيدي براني على الحدود الليبية ، إلا أن مدة التجنيد انتهت ، وذهبت واستلمت عملي.

وهنا ننتقل إلى المحطة التالية :

رسالة الدكتوراه : عدت مرة أخرى إلى أستاذي الذي ظن أني مت ، إلا أنه فوجئ بي مرة أخرى ، ثم أراحني كثيرا حين أعطاني موضوع الدكتوراه قراءة ، الأربعة الشواذ - دراسة لغوية تاريخية، وتعلمت من درس الماجستير أن لا أتعب نفسي كثيرا وأن أتحلل من كثير من الصرامة والجدية المبالغ فيها ، أتعبت نفسي كثيرا في موضوع التجارب ، وتمكنت على نفسي ، ولكن ما اقتنع أحد بما وصلت إليه من نتائج ، وقد ذكرت هذا للبروفيسور إيلرت الذي كتب لي عبارة جميلة : مهما كنت مقتنعا بما تقول فعليك أن تنظر لم لا يقتنع الناس بما تقول !! وفي رأيي أن السبب هو أنهم تربوا على معلومات مناقضة لما أقول ، فهم يرغبون إلى موروثات أفكارهم مهما بدا فيها من عوار.

انتهيت من دراستي ، وقد تعلمت من الماجستير أيضا طريق المراجع ، وأصبح لدى خبرة ، فكانت الدكتوراه أسهل بكثير عليّ ، وعندما فرغت من الرسالة كان أستاذي الدكتور عبد الصبور سافر إلى الظهران في جامعة العلوم والتقنية فأرسلت إليه الرسالة عن طريق أبنائه في مصر ، ثم أرسل خطابا يفيد بصلاحية الرسالة للطبع والمناقشة فخرجت إلى أقرب محل آلة كاتبة - أيامها - من كلية دار العلوم في مبناها الجديد في جامعة القاهرة.

وبما أنها دكتوراه فلابد من مناقش خارج الجامعة ، واختار لي أستاذي صديقه د. رمضان عبد التواب الذي كان يقول عن نفسه صادقا : (أنا قفة علم) وقد بقيت علاقتي به قوية إلى وفاته رحمه الله.

المناقش من الكلية وكان أحد الأساتذة المساعدين الحدثاء أيامها ، ولذا قال أستاذي : (الغربال الجديد له شدة) تحمل خشونته في الحوار والمناقشة ، وبالفعل حاول ذياك المناقش الانتقاص من قيمة الرسالة ، ومن قيمة كل جملة أقولها في مناقشته ، ثم عقب على قولي في الرسالة أن الفرق بين الحركات الطوال والقصار هو فرق في الزمن والكمية ، عقب إن هناك فروقا أخر ، وسأله أحد المناقشين ما هي هذي الفروق ؟ لكنه لم يجب كما رد أيضا على تعبيراته المتعدية بقوله : (إن له لوقفات) جزاه الله خيرا ، وتغمده الله برحماته.

ولم يكتف بهذا بل ادعى أن الملخص الإنجليزي قد ترجمه لي أناس آخرون ، فقلت له : أنا الذي ترجمته ، فأصر على مراجعة الملخص ، وإلا فلن أمنح الدرجة ، ولذا فإن الدكتور عبد الصبور قد انتحى بي جانبا وقال لي : اجلس معه ليراجع الملخص ، وجئت صباح اليوم التالي حيث كانت المناقشة بالليل ، وجلست معه ، فلم يترك من رموز علم اللغة آنذاك إلا اتهمه ، ليس بالجهل فقط ، بل إنه لا يعرف شيئا، بدءا من إبراهيم أنيس ، ومرورا بالدكتور كمال بشر الذي أشرف عليه قبلا ، وغيرهما ، فهل تراه يعترف لي بفضل أو مكرمة والله كلا ثم كلا.

وجلسنا نراجع الملخص وإذا بها ملاحظ لا تغني ولا تسمن من جوع ، بدل الفعل الماضي البسيط نجعله في الماضي التام ، وكثيرا ما شك في هجاء الكلمة فيرجع إلى معجم صغير معه ، يعني كان الحال من بعضه ، ولكني ما كنت أعصي كلمة أستاذي ، ولا أتجاوز نصائحه (الغربال الجديد له شدة) ولذا فإنه إن فرغ المناقشان حتى وضعت الرسالة تحت يدي ، ولم أعبأ لما يقول أو يستفز ـ شيئا ـ هذا الاستفزاز الذي استفز أبي وجعله يفكر في التدخل بطريقته.

على أي الأحوال فقد سعد أستاذي بالمناقشة وكتب لي بعد ذلك بأنها كانت جلسة علمية طيبة، وذلك بفضل صبري، يقصد صبري على المناقش الثالث، ومن عجب أن ذياك المناقش اعترف لي بأن رسالة الماجستير كانت أفضل، وهذا من غريب الكلام.

ولم يكتف معاليه بما سبق ، بل أهدانا عن طريق أحد زملاء القسم من أحداث الأحلام رزيئة كرزيئة يوم الخميس ، ذلك أن هذا الزميل أخذ خطة للدكتوراه اقترحتها على بعض طلابي على هذا المناقش ، فقال في الخطة وفي الموضوع ما قاله مالك في الخمر ، وفي النجاسة المغلظة كنجاسة الكلب ونجاسة الخنازير والحلاليف ، وقال هذا أمام القسم جميعا ، فأسعد الشانئين المبغضين ، وأغاظ الأحباء المخلصين ، فكان كمن ذكر الأنصار بمن غلب يوم بعاث !! ولا حول ولا قوة إلا بالله ، نضرع إلى ربي أن ينتقم من كل من ظلمني أو أهمني أو عكر نقطة من دمي .. آمين يا رب العالمين.

هذا المناقش ترك بلده في أول فرصة ، ترك بلده وإلى الأبد ، ومن عجب غريب أنه لا يفتأ يتذكر بلده في الغربة ويتحسر عليها وعلى طلابها وعلى ناسها ، وقد عرف بهذه طلابه من عرب ومن عجم ، فإن أرادوا أن يخرج عن المحاضرة وموضوعها ذكروا بلده أو ما يمت إليها ، فإذا به يستجيب لاستدراجهم ، ولا يفطن إلى خبثهم ، فإذا كنت تتوق إلى وطنك بهذا الشكل ، فلم لا تعود إليه !!.

على أي حال حصلت على الدكتوراه من ذات القسم بمرتبة الشرف الثانية ، وهكذا انتهت مرحلة الدراسات العليا عام ١٩٨٣، المحطة التالية ، وهي :

العمل في تربية كفر الشيخ : منذ حصلت على الماجستير ١٩٧٧م بدأت أتابع الإعلانات في الصحف سيما الأهرام ، فتقدمت إلى إعلان بجامعة بنها وكنت شديد السعادة بموافقة الموجه الأول ، وكنت أسعد بتعليقه الذي كتبه بخط فائق الجمال يشبه خط أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب وقد جاء نص الموافقة كالتالي (أوافق و أرجو الله أن يرفع الفصحى علي يديه ولسانه) رحمه الله عليه حيا وميتا .

ثم لاح لي إعلان آخر ، حاولت عبثا الحصول علي موافقة الموجه الجديد عامها ، أو مناقشة وكيل الوزارة إلا أنني وجدت أمامي شخصا غارقا في إرهاق شديد ، ويبدو وكأنه لا صلة له من بعيد أو من قريب بالموضوع ، ليس علي استعداد لسماع شيء فضلا عن استيعابه .

وما زاد الطين بله أنني حاولت مناقشة مدير مكتبه في الموضوع ، فقلت : هل أبقي في التدريس بعد حصولي عن الماجستير؟! فرد : إيه يعني ماجستير في اللغة العربية ، ماجستير في كان وأخواتها ؟! وإذ بالدم يغلي في عروقي ، ولكني تصبرت عليه منتظرا إياه أمام البناية لأقول له بكل غضب : هل تقول : إيه يعني ماجستير في اللغة العربية ... وامتقع وجه الرجل واصفر وتغير ، وظن أني ضاربه لا محالة ، ولكن الموقف انتهي ، وعدت أدراجي .

فكرت في المسألة ووصلت إلي حل ، هو العصيان والتمرد علي المدرسة والموجه والإدارة وكل شيء ، وكان مدير المدرسة ـ رحمه الله ـ من الرجال الأشداء خاصة مع المدرسين ، فعندما جئت المدرسة أول مرة سنة ١٩٧٦ سمعت أنه يمط ـ يمد ـ المدرسين ، أو بعضهم علي عجزه ، وعرفت أن هذا كان علاجا منه لمشكلة

كبري أو كارثة كادت تحل بالمدرس ، فاختار المدير أخف الضررين .

أما في أول اجتماع في المدرسة فقد كان حريصا علي تهديدي ، فكان يقول لبعض المدرسين : (أنا سأضعك في باكبورت خرا ؟!) وعرفت أن ذياك المدرس قام بجمع الفلوس من الطلبة ثم نام عليها ، وكانت علاقته قوية جدا بوكيل الوزارة حتى قال : (إنهم يقولون بأني أضع وكيل الوزارة في جيبي ، لا أحد يضع أحدا في جيبه) .

وكان من عناصر هذا التمرد أني لا أدخل الحصة إلا بعد مرور بعض وأخرج قبيل انتهائها ، وأشاكس المشرفين وأناقضهم .

الموجه كان دمثا طيب الخلق ، عندما جاء ما كنت كتبت شيئا في كراسة التحضير ، وعندما طلب الموجه كراسة التحضير كتبت سطرين فقط ، فقال كتبت هذا الآن ؟ نعم ، وكلما قال شيئا ناقضته وعارضته فطلب مني الكراسة فأعطيته إياها ، لا ألوي علي شيء ، ولا ألتفت ، وفي اليوم التالي استدعيت إلي مكتب المدير ومعه الموجه ـ رحمهما الله وطيب ثراهما ـ جلست وإذا بكلا الرجلين يبكيان من كل عين (حفانين) شكوي مني ، وأنا غير منكر لشيء مما يقولان .

وفي النهاية قال الأستاذ صلاح شلبي ـ رحمه الله ـ لقد ذهبت إلي وكيل الوزارة قائلا : عندي مدرس خرج عن السيطرة ! استعجب وكيل الوزارة أن هذا علي صيت سطوته لا يستطيع السيطرة علي مدرس في مدرسته ، و أردف المدير : إني ما نمت هذه الليلة ، أفكر في المشكلة ، هل أحولك للتحقيق أم أقوم بحل مشكلتك، لقد حصلت علي الماجستير ، وتريد الانتقال إلي الجامعة ، ونحن نمنعك ونجبرك علي البقاء رغم أنفك ، ولذا فأنت تحاول التنفيس علينا بما في داخلك

وقررت ـ يقول المدير ـ أن أحل مشكلتك ، وسعدت أنا بما وصل إليه المدير ، وقلت للرجلين : إذن أستقيم أحسن ما تكون الاستقامة .

ثم وعدني المدير أن يحضر لي بنفسه موافقة وكيل الوزارة علي أي إعلان جديد، وفرحت كثيرا وكنت أعمل بكل إخلاص وجديه حتى كان إعلان تربية كفر الشيخ .

أول شيء فعلته ذهبت إلي أستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين في القاهرة فذكر أن رئيس القسم في كفر الشيخ الدكتور سعد إسماعيل شلبي من القنايات بمحافظة الشرقية ، وتقع بالقرب من الزقازيق علي طريق المنصورة الزقازيق ، وأضاف أستاذي أنه يعرفه جيدا ، و أرسل له معي السلامات ، وقد كان .

ثم عدت إلي مدير المدرسة فأخبرته بإعلان كفر الشيخ ، ورئيس قسمه فذكر الأستاذ صلاح شلبي أن الدكتور سعد شلبي هو ابن عمه ، وأرسل السلامات والتحيات معي ، وهو ما تم بالفعل .

فأما الموافقة فقال المدير : اكتب الطلب واتركه معي ، ثم قابلني عند وكيل المديرية بالزقازيق يوم كذا الساعة كذا ، وبالفعل ذهبت إلي المكان وجدت الأستاذ صلاح جالسا مع وكيل المديرية ، وأخرج الورقة من جيبه ، وقال : امض يا أستاذ فلان ، ووقع الرجل ، ثم نادي الفراش بجوار الباب ، فقال له : خذ هذه الورقة فاختمها ، وبعد قليل عاد الرجل بالورقة مختومة ، يا إلهي : كم تعبت من هذي الوريقة المختومة في المرة السابقة ولم يلتفت أحد إلي ، لله في خلقه وخلقهم شنون وشجون.

كفر الشيخ
تقدمت إلي تربية وبعد الجدال مع مديرية التربية والتعليم بالشرقية استمر شهورا أصبحت مدرسا مساعدا في قسم اللغة العربية ، في تخصص اللغة .

وبدأت التعامل مع شخصيتين مهمتين كانتا محط إعجاب شديد مني ، هما الدكتور سعد شلبي والدكتور أحمد عصمت مطاوع الذي كان عميد تربية طنطا ومشرفا علي تربية كفر الشيخ ، الأول ندبني لتدريس علم اللغة في طنطا ، وفي كليتي كلفت بتدريس تخصصي ومادة في الدراسات التمهيدية ، وهو ما أسعدني كثيرا ، وقدم لي دخلا مكنني من الزواج ، وكانت المذكرة فقط بجنيه ونصف ، وفي العام التالي بجنيهين ونصف .

وقد فتح هذا علي باب المشاكل حيث عرض علي كثير من الأساتذة أن أبيع لهم كتبهم علي أن يكون لي نسبه من ثمن الكتاب ، وخاصة المشرف علي القسم في كفر الشيخ أما الدكتور سعد فكان رئيسا للقسم في تربية طنطا ، ولكني لم ألتفت لهم، إلا أن الأمر أدي إلي منعي من التدريس أولا في طنطا ، ثم في كفر الشيخ ، بعد الضغوط القوية التي مارسوها علي الدكتور سعد شلبي ، ما أدي في النهاية إلي أن أقعدوني عن التدريس بحجة القانون الذي يحظر علي المدرس إلقاء دروس نظرية ليتفرغ إلي دراسته ، كلمة حق أريد بها باطل بالتوكيد.

وعندما عينت في كفر الشيخ و أمسكت مبلغا من المال أو توقعته فكرت في الزواج ، وهذا ما سوف أتناوله تحت عنوان :
المقامة الشناوية : نسبة إلي عائلة زوجتي ، قبل ذلك ألح أبي وأمي علي بالزواج ، لكني لم أك أمتلك مالا أتزوج به ، لقد أعطيت ما معي إلي أبي لأساعده في تجارته ،

وأعطيت لأخي الذي كان ما يزال في مرحلة الدراسة ، وبعد عشر سنوات لم يك معي إلا أقل من مائتي جنيه فقط ، ولذا كان الإقدام علي الزواج بهذا المبلغ عبثا لا طائل من ورائه .

ورنت الأعين إلي رموز الإسلام السياسي ، لكن لم نصل إلي شيء ، كنت أتوق إلي الزواج فعلا حتى شاء أن أنتقل من التربية والتعليم إلي تربية كفر الشيخ ، المرتب أكبر ، ثم التدريس لسنتين الذي وفر لي ما يسد حاجة الزواج .

بدأنا بالشبكة ، وكان القوم كراما معي ، فلم يشترطوا مبلغا معينا كما هي عادة كثير من الناس ، وكانت فرصة لي فقدمت شبكة أقل من المتوقع ، سبتني أبي إلي الصائغ وأوصاه بشبكة فخمة تليق بابنه الدكتور ، وعندما أحسست بهذا أوصيت الرجل بأن ما معي من فلوس في حدود كذا ، وبالفعل ساعدني الرجل في عدم تجاوز هذا الرقم .

غضبت العروس ولكن أباها كان رجلا شهما ، فوعدها بأسورة أخري مثل أسورة الشبكة ، وانتهي الموقف عند هذا الحد ، ثم قدمت المهر من فلوس المذكرات، وكان يومها (ألف جنيه).

وتزوجنا سريعا واستقر الرأي علي أن اسكن مع أبي و أمي في منزلهم في شقة أسهمت في شيء من تكاليفها ، ولكن ما لبث الخلاف أن دب بين زوجتي والأسرة (يا داهية دقي) حتى وقعت الواقعة ؟ كلا وقعت الوقائع والكُبَر .

وكانت المسائل في تربية كفر الشيخ تفاقمت بعد أن حرموني من التدريس ، ولم يبق لي غير راتبي فقط ، حاولت التفاهم مع العميد الجديد والذي تلاه ، ولكن

القلوب كانت عمياء صماء ، كأنما قدت من صخر صلد ، بل الحجارة الصم قد تلين ، بل قد تتفتت ، ولكن قلوب هؤلاء الناس كانت تحمل صدا وكرها وبغضا ما رأيت مثلها قط في حياتي .

وحاولت اللجوء إلي رئيس الجامعة فوجدت مثل وكيل الوزارة الذي تحدثت عنه قبلا ، لا صلة له بك ، ولا إحساس ، مرهق شديد الإرهاق ليس عندهم استعداد للتركيز أو للتفاهم في شيء ولا سماع أي شيء .

وتفاقمت المشكلات بسرعة ، وقد ألمني وأحزنني وأنفد صبري أنني بعد أن حصلت علي الدكتوراه عام ١٩٨٣م ماطل المشرف علي القسم الذي كان أس المصائب ، وبرغم هذا وبرغم تأكد الجميع بأنه علي خطأ وأنا علي صواب إلا أنهم وقفوا ضدي وكانوا يرون أنه المصيب وأنا مشاغب .

وفي أحد الأيام حاولت التفاهم مع عميد الكلية علي عملية التدريس فكان شجار امتد طوال النهار دون تحقيق أي شيء ، وعدت إلي البيت فوجدت واقعة اشتد أوزارها بين زوجتي وأبي وأمي وأخوتي و عندما جئت إلي البيت كانت أعصابي قد أفلتت وهربت ، انتهت الواقعة المشئومة إلي قراري بترك البيت واستئجار شقة أخري وهو ما تم بالفعل ، وكان هذا رد فعل علي طريقة خروجنا من البيت .

بقيت سنة وأنا واجد علي أمي وأبي ، فانقطعت عن زيارتهما أو دخول بيت أبي قرابة السنة إلا أن الجبهة الأخرى تحركت ضدي مرة أخري فإن أمي لم تترك أحدا من أصحابي إلا شكت إليه أنني أقاطعها ، وفي النهاية رفعت راية الاستسلام وذهبت إلي بيت أبي ففرحوا فرحا شديدا بعودتي لزيارة البيت .

المقامـة النيجيريـة

وعندما تفاقمت الأمور في تربية كفر الشيخ ولم أجد أحدا ينصفني من مشرف القسم قررت الاستقالة والسفر إلي نيجيريا .

زوجتي هي الأخرى كانت تعمل في الأزهر فطولبت بالاستقالة ولذا بقيت في البيت بلا عمل ٣ أشهر حتى تمكنا من استخراج جواز سفر لها بعد تغيير البطاقة الشخصية .

سافرت أنا وزوجتي وحلوتي أسماء بنتي ، بنت السنتين إلي كانو في شمال نيجيريا قابلتنا بعض الصعوبات في المطار ولكن استقر بنا الأمر في مدينة كانو شمال نيجيريا ، أول مرة نركب الطائرة أول مرة أعمل بالخارج .

لكن حصلت مشكلات في نيجيريا ثم انقلاب عسكري علي الرئيس شيخو شجارى ١٩٨٣م ، ومشكلات في تحويل العملة ، تفاقمت حتى عجزنا عن حلها أو حلحلتها ، فقررت العودة إلي مصر ، و أن يكون لنا عمل في مصر .

لكن في نيجيريا كانت بعض فوائد ، فمن السموم الناقعات دواء أحيانا وأحيانا، منها التفرغ لابنتي لملاعبتها وملاغاتها وتسجيل هذا لها ، وهذا ما جعلها وثيقة الصلة مع أبيها .

كما أن صداقتي لمدير مركز المخطوطات في جامعة بايرو مكنني من قراءة ما لا يحصي من المخطوطات باللغة العربية لأكتشف التراث العربي الضخم في هذا

البلد نيجيريا ، فإن ثلاثة من علمائه (عثمان وعبد الله ابنا فودي وابن الأول) هؤلاء الثلاثة ألفوا قرابة الخمسمائة كتاب باللغة العربية ، وغيرهم.

عرفت هذه المنطقة الغالية من القارة (غرب إفريقيا) وما جاورها وعلاقة خلافة (سكتو) التي أسسها عثمان بن فودي عام ١٨٠٨م واستمرت قرابة المائة عام ، حتى أسقطها الإنجليز عام ١٩٠٦م .

كانت هذه انعطافة قوية في حياتي أخرجتني من إسار التخصص في علم اللغة إلي رحابة الكتابة في الفكر والتاريخ والجغرافيا ، وحتى في مجال التحليل العسكري ، ومن ناحية أخري فإن زميلي في القسم الدكتور هارون الرشيد يوسف كان عاد عامها من لندن حيث حصل علي الدكتوراه من جامعة لندن ، هذا الزميل كان يعطيني من مكتبته ما أقرؤه، ثم أعيد الكتاب إليه ، حتى أتيت علي جل مكتبته ، خاصة في علم اللغة .

ولكن عندما صفوت مع نفسي بدا لي أن استقالتي كانت من الخطأ ، ولذا فالرأي ساعتها أن أعود إلي مصر لأعين في جامعة مصرية ، وليكون لي مكان في بلدي ، قرار نفذته بالفعل .

زوجتي اختلفت مع زوجة أحد الزملاء وكان بينهما ما يكون بين النساء ، وصل الأمر إلي أن بنت هذه الزميلة وكانت في عمر بنتي قالت أمام أمها وزوجتي : (يا تنط أم ... ماما لا تحبك!!) فوقعت الواقعة ولكن سبق السيف العدل .

المقامـة الدمياطيـة

عدت إلي مصر بعد عام من سفري إلي نيجيريا ، أو أقل عدت السبت ، ليلة الأحد وفي يوم الاثنين عدت مرة أخري إلي أستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين راجيا أن يساعدني في أن أعين في احدي الجامعات المصرية ، فقص علي هذا القص :

كنت عائدا من المنصورة القاهرة ، تعطلت الحافلة ، فجلست انتظر الإصلاح ، وإذا بسيارة ملاكي تقف وينزل صاحبها ليعرف ما سبب عطل الحافلة ؟

فقال الدكتور عبد الصبور : من هذا الرجل الطيب الذي نزل من سيارته وعطل نفسه من أجل أن يعرف لماذا تعطلت حافلتنا ؟ ونزل ليري من هو ؟ وإذا به عميد تربية دمياط سأل أستاذي عن دكتور في علم اللغة ، أي في تخصصي ، كان هناك دكتور ممتاز جدا ، ولكن ذهب إلي نيجيريا فأين الطريق إليه ، وكيف نجده ؟ .

الدكتور عبد الصبور كان من رأيه أن أسافر مرة أخري قائلا :

(يا ابني سافر ، البلد لم يعد فيها أمل) .

كان هذا في يوم الاثنين ، وفي يوم الخميس ذهبت إلي دمياط لمقابلة العميد ، واتفقنا علي إعلان لي في تخصصي ، وسارت الأمور سيرها المعتاد ، جاء الإعلان في الجرايد المصرية الثلاث الأهرام و الأخبار والجمهورية ، لم يتقدم أحد غيري ، واتخذت جميع الإجراءات ، وبقيت استمارة الأمن ، قال لي أمين الكلية لا تقلق ، إنها

مسألة بسيطة ، ولكن الاستمارة تأخرت وتأخرت ، وبدأت أسال في مكتب الأمن بوزارة التعليم العالي في شارع المبتديان ، خلف المبني القديم للكلية التي درسنا فيها ، ولكن هذا لم يجد نفعا ، بل ذكر بعضهم إن السؤال عن الاستمارة يعطلها ، ويجعل المسئولين يشكون ويشكون .

ذهبت إلي مكاتب أمن الدولة في الزقازيق وكفر الشيخ و دمياط لأستطلع جلية الأمر ، فقالوا : إنك كتبت استمارة في الجمعية التربوية الإسلامية في مقر الإخوان المسلمين القديم في التوفيقية بالقاهرة ، هذا الخطأ الذي حذرني منه صديق لي ، ولكني ما استجبت لنصحه .

وتأخرت الاستمارة و تأخرت ، وبدأت المدخرات القليلة التي جئنا بها من نيجيريا تتبخر ، وضعنا أمام الحقيقة الصعبة إن الأسرة بلا دخل.

لم يعد لها مورد رزق ، وكان مصروف البيت عامها ١٥جنيها في الشهر توفر بالكاد ، أما أبي فقد بادر إلي القول : (يا ابني أنا ليس معي فلوس ، ولو كان معي لأعطيتك) ولم أعلق ، فالتجارب السابقة أثبتت أن أبي لن يعطي شيئا .

وأذكر أنني بادلت أحد أصدقائي ، فبعته مسجلي الضخم الذي جئت به نيجيريا في مقابل مسجل صغير ، والأهم من ذلك سيعطيني قسطا شهريا ثلاثة أقساط كل قسط كان ١٥ جنيها ، أي أنني دبرت مصروف البيت لثلاثة أشهر قادمات ، ربح البيع ، وربحت الصفقة ونجحت .

هذا كان موقف الأب أما أشقائي وأقاربي فكأن شيئا لم يكن ، ولم ينطق أحد

منبسا بشفة أو شبهها ، أما أصدقائي ـ سامحهم الله ـ فأحدهم يقول : ألا أجد معك ألف جنيه (سلفا) ويقول الآخر : هناك بيت جميل تعال فاشتره ، أشتريه !! من أين ؟ من فلوس نيجيريا ، فكل من لا يعرف ، يقول : هذا عدس .

وكان لي مبلغ تركته في نيجيريا مع صديق لي فألححت عليه أن يغيره في السوق السوداء لشدة حاجتي ، ولكنه أصر علي إبقاء المبلغ حتى حَوَّله بالسعر الرسمي ، وتم هذا بعد أن حلت العقدة واستلمت عملي في عام ١٩٨٥، أي بعد سنة.

أحد أصدقائي من إحدي قرى محافظة الشرقية وكان زميلا في دار العلوم جاءني زائرا ، مرحي مرحي ، إلا أن صاحبي وجه إلي ضربة قاصمة ، لقد طلب مني أن يتغدي الفسيخ في بيتي ؟ يا للهول ، إن هذا يحتاج أيامها إلي ما يقرب من مصروف البيت في شهر ، ولم يك أمامي غير الرضوخ والاستسلام التام العام الشامل .

ولكنه عند انصرافه وجه إلى لكمة مخرسة ، لقد طلب مني سلفة ٢٠ جنيها ليذهب بابنته إلي طبيب العيون ، أي أنه كلفني ـ رحمه الله ـ فوق الثلاثين جنيها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ابنتي طلبت مرارا (الموز) وكانت تنطق الزاي سينا ، فلم أسطع أن أشتري لها عند عودتي من السفر غير بعض البسكويت بخمسة قروش فقط ، لكن لا أحد من حولي يلتفت قط إليَّ وإلي معاناتي.

الشيخ عبد الحميد كشك جاءني في المنام وقال لي : (سيرسلون لك الموافقة ، ولكن لا تترك الجهاد) بنفس النص قالها الشيخ ، وفي منام آخر رأيت الورقة في

جيبي وفيها كلام حلو ، وعندما أخبرت عميد الكلية ـ رحمه الله ـ قال : فعلا جاءت الاستمارة ، وفيها الموافقة .

ومن أصعب الأشياء علي نفسي هذا الفراغ ، والذي شغلته بالكتابة ، وبزيارة بعض المكفوفين أقرأ لهم من بعض الكتب معي ، وفي احدي الليالي ذهبت إلي صديق من هؤلاء فقال ليس في البيت رغيف واحد ، وكنا نريد الذهاب إليك نقترض خمسة جنيهات وبالفعل أخرجت ما معي ، وكان أربعة جنيهات أعطيتها لهم .

وكنت أتطلع إلي أصدقائي الموظفين يعودون من أعمالهم و إلي الأصدقاء الآخرين في مصالحهم ، أتحسر علي ما أنا فيه وما هم فيه ، ولكن الله أعانني بالدعاء مثل : (اللهم استر عوراتي وآمن روعاتى) وقراءة سورة الواقعة في كل ليلة .... إلخ .

أما أشد الأشياء إيلاما في النفس فكانت بقائي في البيت علي مدي الساعة ، ومن أجل هذا كان المثل : (جنازة بطار ولا قعاد الراجل في الدار) وكان قعودي في الدار مرا شديد المرارة لي ، حتى جاء مؤتمر القلقشندي في بنها ١٩٨٥ فكان منفسا في وقته جاء .

علي أيه حال انتهت الأزمة ، قيل بتدخل أحد الناس (التخان) في البلد ، وتسلمت عملي في قسم اللغة العربية في تربية دمياط ، جامعة المنصورة عام ١٩٨٥ .

المقامة الشناوية
أو
الزواج الأول

بعد أخذ ورد مع أبى وأمي وأصدقائي ومن أعرف عرفت الطريق إلى الزواج بعد أن عينت في تربية كفر الشيخ ، مرتب أفضل ، ثم مذكرات أمنت أثمانها تكاليف الزواج ، وبالفعل تزوجت وأنا فوق ٣٢ عاما .

تزوجت في شقة في بيت أبى ، ماتت شقيقتي (كوثر) ١٩٨١ بعد أن تركت طفلها مع أمي ، وبقى في بيتنا حتى كان سبب خير وبركة لبيتنا ، وهو الآن متزوج ويعول بضعة أطفال ، ويعمل في السعودية .

ولكن سرعان ما بدأت المشكلات العويصة بين زوجتي وبين حماتها وأسرتي، فقررت بعد واقعة شهيرة لا ينساها التاريخ ترك منزل أبى إلى شقة مؤجرة ، خاصة وأنني عدت غداة هذى الموقعة إلى البيت وقد قضيت اليوم كله في شجار وجدال مع عميد الكلية ـ لا سامحه الله ـ فلم أتمالك نفسي من الانخراط في الواقعة الشهيرة .

وخرجت من البيت إلى شقة مؤجرة وهددت الحماة زوجة ابنها بأنها لن تتركها في إطار الصراع الأبدي المرير بين الحماة وزوجة ابنها ، وبقيت عاما لا أدخل بيت أبى لما رأيت الظلم قد وقع عليَّ وعلى أسرتي ، وكان معي ابنتي أسماء التي ولدت عام ١٩٨١.

وبعد مشكلات مع رئيس القسم وعميد كلية التربية بكفر الشيخ وتخلى كل من حولي عنى وقد رأوا الظلم البين وقع عليَّ قررت السفر إلى نيجيريا ، وهنالك فتحت زوجتي جبهة مع زوجة أحد زملائي ، حتى قالت بنتها التي كانت تلعب مع بنتي قالت لزوجتي أمام أمها : (يا تنط أم أسماء : ماما تقول أنت وحشة) وعبثا حاولت الأم نهرها ، ولكن قد نفذ السهم إلى القلوب .

قلت لنفسي : لعلها سحابة صيف ، وسرعان ما عدنا ـ نحن الثلاثة ـ من نيجيريا إلى مصر، وبقيت عاما دون أي دخل للأسرة ، وسرعان ما انقشعت الغمة ، بعد أن اجتزت هذه السنة ، وعينت في تربية دمياط فبدأت الانطلاق نحو العمل الشاق لتعويض عام الرمادة هذا .

ولكن زوجتي ما لبثت إلا قليلا حتى فتحت جبهة مع زوجة صاحب البيت الذي ما تأثرت علاقته بي قيد أنملة ، أو ذرة واحدة ، بل بقينا في مزاحنا لا نبرحه وتفاقم الخلاف بين المرأتين ، حتى أحضرت زوجة صاحب البيت شقيقها من القاهرة ، وجاء الفتى منفعلا عليَّ أشد الانفعال ، لكنى قابلت هذا ببرود شديد ، فقلت للشقيق : أنا أدلك على أبى زوجتي وأشقائها للتفاهم معهم أو الشكاية لهم ، وكان هذا رأيا غير حصيف منى ، لكن هذا ما كان وكان من أسباب الخلاف والشقاق أن صاحبة البيت أخذت المصباح من مدخل العمارة ، ولما أحضرنا مصباحا آخر خلعت الدواية من جذورها فعقبت زوجتي بأن المرأة أطفأت المدخل في حين هي لا ترى بالنهار ، أو قالت شيئا كهذا ، تعيرها بضعف نظرها ، و كانت تلبس نظارة طبية.

وبعد هذه المعايرة بدأ نظر زوجتي في الضعف الشديد حتى وصل في وقت قياسي إلى -١٢ ، وعندها تخيلت أن الأمر سحابة صيف ، لا تلبث أن تمر ، وأن بمجرد انتقالنا إلى بيتنا الجديد١٩٨٨م سينتهي كل شيء ، وكل احتقان مع الجيران.

ومن عجب أن والد صاحب البيت كان يتعامل معي بشكل محترم وراق / راقي تماما حتى أقسم بأنه لولا انتقالي إلى منزلي لما تركني أترك شقتي المؤجرة من ابنه ، وهكذا كان هذا الرجل وابنه من أحسن من تعاملت معه في حياتي.

وفى بيتنا الجديد الذي انتقلنا إليه بدأت زوجتي في الاشتجار مع جيرانها ، البيت المواجه لنا ، والمجاور ، واحتدم الأمر، وتعقدت الأمور وحاولت كبح القطار المندفع في طريقه خوفا على أبنائي ، أسماء ، ومحمد الذي ولد عام ١٩٨٥م ، وحسن الذي ولد بعده بعامين ١٩٨٧م ، ولكن القطار اندفع في طريقه حتى تعاركت زوجتي يدا بيد ، وقدما للقضاء ، وهنا كان على الجميع أن يتصالحوا ، وكان هذا عام٢٠٠٠ ، وكان عام حزن وألم عميق ، حيث إني تقدمت إلى الترقية عام ١٩٩٨، ولم يردوا على حتى عام ألفين ، وردوا بالسلب ، وعدم الترقية وبرغم هذا تحاملت على نفسي وحضرت مجلس الصلح الموسع ، وانتهى الأمر عند هذا الحد ؟ كلا.

بدأت صحة زوجتي تتدهور بشكل سريع مريع ، حدرا حدرا ، سراعا سراعا ، و يبدو أن الحارة الأخرى دعت عليها.

وفى بدء التسعينات ذهبت إلى ماليزيا ، ثم استقدمت أسرتي وهم الزوجة وبنتي أسماء ، وأبنائي محمد وحسن ، وهنا تكاثرت الأمراض على زوجتي حتى إننا في يوم واحد وحيد ذهبنا إلى الطبيبة الهندية في هذا اليوم ثلاث مرات ، ثلاث مرات

يا حبيباه ، ما كان موضع عجب شديد من الطبيبة الهندية.

زوجتي لم تضيع وقتا - خلال عشرة شهور - قضتها معي في ماليزيا ففتحت جبهة مع زوجة أحد زملائنا من الزقازيق ، وحاولت لملمة المواضيع قدر الإمكان إلا أن القطار سار في طريقه مسرعا مسرعا حادرا حادرا ، كيف كان ذلك ؟

كان أبنائي الثلاثة يذهبون إلى مدرسة عربية ، وكانت الحافلة تأتى لأخذ أبنائي الثلاثة والعودة بهم ففكرنا أن تعمل الأم مدرسة في المدرسة تصاحب الأبناء إلى المدرسة وتعني بهم كمدرسة ، هذا الأمر ما لبث أن تحول إلى كارثة حقيقية ، لقد جاءت زوجتي ذات يوم فقالت لي : إنها تشاجرت مع المدير العربي للمدرسة ، ثم طلبت منى أن أشكو هذا المدير العربي إلى السفارة المصرية ثم ادعت أنها ضربته ألما (بالقاف).

واستبد بي الخوف فإن كان قولها صحيحا - إن كان - فإن الرجل لن يسكت ، ولعله يلجأ إلى سفارة بلده التي سوف معه ، وتقتص له ، لكنني وضعت احتمال أن يكون كلامها غير صحيح بالمرة ، أم أن الرجل كان من العقل بحيث لم يفضح أمره أمام سفارة بلده ؟ لست أدرى.

إلا أنني منعتها ومنعت أبنائي من الذهاب مرة أخرى إلى المدرسة تحاشيا لمعركة خاسرة بيننا وبين الرجل وسفارته ، ثم إن أبنائي لم يستجيبوا لنا في المذاكرة فقررت أن يعودوا إلى مصر ، بقيت أنا في ماليزيا حتى عدت عام ١٩٩٢ إلى مصر، وبشكل نهائي لتستأنف زوجتي رحلتها مع المرض ومع الناس ، حتى

علقت إحدى السيدات على هذى الوقائع بقولها : (لنا في كل قرية فرية) في كل بلد ، في كل مكان لنا موقعة وموقعة.

وفى عام ١٩٨٨م اشترينا شقة في كفر سعد (دمياط) أن وزميلي اللدود ، ثم بعنا الشقة عام ١٩٩٢ وانتقالنا إلى دمياط الجديدة ، وبدأت زوجتي الحراك مع زوجة صاحبي حتى وصل الأمر إلى حد أن اتهمت الأخرى أحد أبنائي بضربها في بطنها برجله.

و تفاقمت الأمور بينهما - زوجتي - والأخرى ، و لكنى تمكنت من كبح المسائل حتى لا تصل الأمور إلى الانفجار، ثم تمكن أحد أبنائي من قطع علاقة صاحبي تماما، فضلا عن أن هذا الصاحب طلب شينا لم أتمكن من تلبيته ، ومن ثم انقطع الرجل عنى ، وماللزميل آخر ، ولكنى أبقيت المسائل على نار هادئة ، بعيدا بعيدا عن الانفجار.

ولكنى بقيت على علاقة ظاهرة مع هذا الرجل وأسرته حتى نقل من العمارة إلى بيته الجديد ، منذ أشهر ، ومع هذا بقيت العلاقة ظاهرة معه ، وأبنائه إلى الآن برغم ما كان منهم في حقي ، وهذا له حديث آخر ، بعد ذلك .

والشيء بالشيء يذكر فلا يعاب من أحد مطلقا ، ولا من أحد ينكر ، فقد قررنا عام١٩٩٤ أنا وأمي وزوجتي أن نؤدي فريضة الحج ، وتعاهدنا واتفقنا على الوفاق، والنأى عن الخلاف والاشتجار ، وعندما ذهبا للحج وكان معي والد زوجتي (حماي) وخالي وبعض أسرته ، وخالتي وبعض أسرتها ، وبعض المعارف .

وبمجرد وصولنا إلى الأراضي المقدسة بدأ مبكرا الصراع الأبدي المرير ، الممتد عبر التاريخ بين الحماة وزوجة ابنها ، حتى أخرجوني عن شعوري ، وفى مكة المكرمة ، فكان منى ما كان.

صديقي الدكتور حمادة قال لي : كيف صنعت مع زوجتك و مع أمك ؟

قلت : سووني على جميع الجوانب ، و ليس الجانبين فقط ، قال بقيت معي زوجتي يومين فقط ، ثم قلت لها : الحقي بأهلك .

كان حماي معي يذكر بنته دوما بحسن التعامل مع حماتها (أمي) ولكن هيهات هيهات.

وقد حاولت إرضاءهما ـ قدر ما اسطعت ـ وكنت دوما أردد : (كل طلب لكما مجاب ، أكل ، شرب ، ملابس ...إلخ ما عدا محلات الذهب) وفوجئت بأمي تقول : (كنت أحدث نفسي أن ابني يذهب معي إلى محل الذهب ...) يا للهول ، هل يستطيع عبقري لا يفرى أحد فرية أن يأخذ أمه و زوجته إلى محل ذهب ... إذا لباع الحديدة وما تحتها في المزاد العلني.

ولم تنس زوجتي أن تفتح اشتجارا بينها وبين إحدى الحاجات التي حاولت التحرش بنا ، وطالما حذرت زوجتي من الاشتجار مع هذه السيدة ، وذهبت جهودي أدراج الرياح.

وقبيل سفرنا من ميناء جده انفجر الموقف بين السيدتين ، فما كان منى إلا أن تكلمت مع إحدى قريباتي للتدخل في الأمر ، ووقفت عند هذا الحد ، لم أجاوزه قيد

أنملة ، ثم عدنا من الحج .

عدنا من الحج فوجدنا أن حماة زوجتي قد شهرت بها ، بل تمكنت من إقناع أخيها الذي كان يحج معنا بأن زوجة ابنها حرمت عليها الحرم ، فقلت : يا خالاه ، فذكرت أننا ـ نحن الثلاثة ـ قابلناك في الحرم عدة مرات ؟ نعم : إن هذا لصحيح ، لكن أخته تمكنت من إقناعه بما ادعت ، ولكن لله الأمر من قبل ومن بعد .

ولكن في بداية تسعينات القرن الماضي جاء صديقي دكتور آداب الزقازيق جاء يلح على في شراء قطعة أرض يمتلكها خالي (الوحيد) ولإلحاح صديقي ذهبت إلى خالي وقلت له : (صديقي فلان قال لي : هذه أرض خالك ، اذهب وقم بشرائها ، فقال لي ـ رحمه الله ـ عندما نرغب في البيع سنخبرك.

وبالفعل أرسل لي خالي ـ وكان هذا عام ١٩٩٤ ـ برغبته في البيع ، وبالفعل تم شراء الأرض على دفعتين ، وكنت أشترطت على خالي أن نكتم الأمر حتى عن أخته (أماه) وقد كان ، حتى إذا بدأنا البناء عام ٢٠٠١م تحير الناس في ماهية المبنى ومن يكون صاحبه .

ونقلنا إلى البيت الجديد بعد أن بعنا البيت القديم ، وودعنا الشارع القديم في الخامس من أكتوبر عام ٢٠٠١م بعبارة : (سلام عليك أيها الشارع ، سلام لا لقاء بعده).

واستقربنا المقام في البيت الجديد ، وقلنا قد استرحنا من الحوارات مع الجيران ففي هذا البيت ليس لنا إلا جار واحد ، في حاله تماما ، لا يهش ولا ينش ،

لكن البيت سرق ٢٠٠٥م ، بعد أربع سنوات من سكناه ، وعثر على السارقين ونال كل واحد عقابه.

وهنا غيرت رأيي وشطبت شقة الطابق الثالث ، وتركنا الثاني الذي أجرناه لأحد أصدقائي ، ثم رأينا أن نكمل الرابع والخامس ، وهكذا أجرنا ثلاثة طوابق ، وأربعة دكاكين تحت البيت .

وهنا فتحت زوجتي النار على الجيران والمستأجرين ، خاضت مواقع حامية معهم جميعا ، خاصة المستأجرين ، وتفاقمت الأمور ، ولكنى تمكنت من احتوائها ، موقعة بعد موقعة.

ولكن الأمراض تكاثرت على زوجتي حتى أقعدتها تماما ، وكان من أسباب هذا الانهيار ، تركت الدكتور الذي كانت تتابع معه في المنصورة إلى آخر في القاهرة ، ثم تركها دمياط إلى ههيا في الغسيل الأسبوعي للكُلية ، ثم زرعها كلى لمتبرع من القاهرة ، وهنا انهارت تماما ، وتناقلت بين مستشفى وآخر وبين عيادة وأخرى ، وانتهى الأمر بنا إلى دمياط ، حيث توفيت في ٢٠١٣/٥/٢ .

المقامة الضريبية [١] أو الزواج الثاني : فمنذ وقت مبكر من زواجي عام ١٩٧٨ ، وبعدها بقليل فكرت في الزواج بأخرى ، لكنني ما أفلحت ، بل إنني ذهبت إلى تايلاند ٢٠٠٩ قاصدا الزواج ، إلا أنني ما تمكنت من هذا الزواج أبدأ.

---

(١) نسبة عائلة زوجتي الثانية ، عائلة الضريبي.

لكن عندما سرق البيت عام ٢٠٠٥م فكرنا في أن نؤجر الطابق الثاني الذي سرق إلى أحد أصدقائنا ، نسكن في الطابق الثالث ، وهكذا اقتنع صديقي بما فعلت ، وهو أن يبيع البيت القديم ويشترى قطعة أرض يبنى فيها بيتا جديدا كما فعلت.

و جاء صاحبي مع أمه ، وسكن الطابق الثاني في بيتنا ، واشترى قطعة أرض بنى البيت ، وترك الباقي حديقة للبيت ، ولكن بقى عندنا حتى شجر خلاف بينه وبين زوج أخته ، ذات يوم جمعة ، بعد أن صرخت الأم نزلت سريعا إلى شقتهم فوجدت الخناقة منصوبة بين صاحبي وأخته وبين زوجها هذه الخناقة التي انتهت بطلاق أخته.

ومرت الأيام وأنا ما فكرت بها قط ، برغم أنني أعرف أخاها من سنوات طويلات ، وبرغم أنني كنت أتوق إلى الزواج منذ وقت مبكر من زواجي الأول .

وجاء يوم قابلت هذى السيدة ومعها طفلها تجره ، وهو يجرى خلفها بجهد جهيد ، وهنا فكرت في الأمر ، قلت لنفسي : هذه السيدة تمشى هكذا ، ولكن الأمور لا تنتظم معها ، وأنا أمشى هكذا ، والناس تتصور أن الأمور تنتظم معي ، وهو غير صحيح ، لماذا لا تأتى هذه السيدة لمعاونتي ؟؟

وهنا فكرت فقط في الزواج منها ، فجمعت كل ما استطعت من شجاعتي لأنتحي بشقيقها أمام البيت لأعلن له عن رغبتي في مصاهرته ، وهنا انتفض الرجل، ولكنه في النهاية قال : ولم لا ، ولكنه رأى أن لا يفاتح أسرته بهذا إلا بعد الانتقال إلى بيتهم الجديد الذي كان أوشك على الانتهاء ، وقلت في نفسي عندما ينقلون إلى بيتهم سيرفضون.

وبالفعل ذهبت فور الانتقال إلى بيتهم ، وسارت الأمور أسبوعا على ما يرام ، إلا أنه بعد أسبوع انقلبت الأمور رأسا على عقب ، لقد خافوا من زوجتي السابقة ، وانغلق هذا الباب ، وكنا في عام ٢٠٠٩م فيما أذكر.

وسارت الأيام في طريقها ، ذهبت إلى العمل في تايلاند ٢٠٠٩ - ٢٠١١م ، وعدت إلى عملي مرة أخرى في آداب دمياط ، إلا أنه في بداية مايو٢٠١٣م ماتت زوجتي الأولى - كما سلف - وفكرت في العودة مرة أخرى لطرق ذياك الطريق ، وبرغم نصح كثير من الأصدقاء بعدم العودة إليهم فهم رفضوك أول مرة ، فلا تذهب إليهم مرة ثانية ، فلا يصح أن يرفض الرجل من بيت واحد مرتين ، إلا أنني خالفت نصح الأصدقاء وذهبت.

وسرعان ما تم الزواج ، وبقينا - نحن الاثنين - أسبوعا في شقة الجيزة ، ثم عدنا إلى ههيا ، ثم دمياط ، رد أبنائي كان عنيفا فعقوا - بالقاف والكاف - ما شاء لهم الله أن يعكوا.

وقابلنا - نحن الاثنين - مصاعب جمة حتى استقرت بنا الأمور إلى حد كبير ، بعض الناس بارك هذا الزواج ، وبعضهم اعتبره خيانة لأبنائي وبيعا للقضية ، فكان على أن أزوجهم قبل أن يتزوج أبوهم ، لكنى كعادتي سرت في طريقي ، لا ألوى على شيء ، ولا التفت إلا إلى قناعاتي الشخصية ، برغم أن الشطط قد بلغ بأبنائي مبلغا لا يمكن أن يتصور ، ولهذا الحديث تكملة فيما بعد.

المقامة الجيزاوية
أو مشكلات الترقية

وقد أسميناها بالمقامة الجيزاوية ، نسبة إلى الجيزة حيث يقع المقر الحالي لجامعة القاهرة ، وقد استخدمنا صيغة النسب المصرية ـ أو كما في اللهجة المصرية ـ فقلنا : المقامة الجيزاوية ، ولم نكتب المقامة الجيزية ، حتى يتضح المقصود ، أو حتى يسهل إدراك العنوان وفهمه، أي من وجهة نظرنا.

على أية حال فقد حصلت ـ كما سلف ـ على الدكتوراه عام ١٩٨٣، ولكن بسبب المضايقات في مصر، وخاصة من قبل رئيس القسم ـ الأسبق ـ في كفر الشيخ، وتخلي جميع من أعرف عني ، بل كان بعضهم يلومونني ، ويرى أنني الطرف المشاغب غير القادر على التكيف مع محيطه ، ولذا سافرت إلى نيجيريا ، وعندما قررت العودة إلى الوطن كانت هذه السنة التي بقيت فيها في بيتي سنة كاملة بدون دخل للأسرة.

ولكن الله شاء لي أن أعين في تربية دمياط بفضل الخيرين من الناس، وخاصة المرحوم الدكتور محمد أبو الفتوح شريف العميد الأسبق لتربية دمياط.

وعينت أخيرا بعد بشارة الشيخ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله ـ أي في المنام ـ وكان هذا في أكتوبر ١٩٨٥ فيما أذكر.

فكان على خلال خمس سنوات من تعييني هذا ، وبالفعل بعد خمسة أعوام قدمت أوراقي وإنتاجي للترقية ، وكان علي في البداية أن أزور أستاذي والذي كان عضوا في اللجنة عام ذاك.

وتمت الرحلة إلى بيت أستاذي في حي نصر الدين في الجيزة بالقرب من جامعة القاهرة ، وكان معي طلابي من تربية دمياط جاءوا لزيارة معرض القاهرة الدولي للكتاب ، وعقيب زيارة أستاذي انطلقت إلى طلابي في المعرض ثم ركبنا الحافلة من أرض المعارض بمدينة نصر حيث قررت النزول من الحافلة في بنها ، في مفارق الطريق إلى طنطا وإلى الزقازيق، فغادرت الحافلة لأقف في بداية طريق الشرقية في انتظار سيارة إلى مقصدي.

وفجأة توقفت الطريق والسيارات ثم بدأت موجة أمطار عاتية ما رأيت مثلها وضباب رهيب (شبورة) قاتلة ، وبعد وقوف ممل امتد لساعات وجدنا سيارة إلى منية القمح ـ في منتصف الطريق ـ ولكن السائق ما لبث أن عاد مرة أخرى خوفا من الجو المطير ومن ضبابها.

وبقيت أنتقل من بلد إلى بلد ومن سيارة إلى قطار حتى وصلت إلى الزقازيق في انتظار القطار المتأخر من القاهرة والذي كان تأخيره أكثر من ساعتين ، أي أنني تركت حافلة طلابي في الخامسة عصرا ، وكنت في الزقازيق في الواحدة بعد انتصاف الليل (عجبي وعجبي!!) ركبت القطار المتأخر والذي وصل إلى ههيا ـ حيث كنت أسكن ـ وقد اقتربت الساعة من الواحدة والنصف فجرا ، وللمفاجأة وجدت بلدي غارقا في أمرين مريرين ، هما الأمطار الغزيرة التي ما عهدت مثلها في حياتي ، وما زاد الطين بلة وبللا ووكسة أن النور كان مقطوعا في البلد كله.

وسرت في الظلام أتحسس الطريق إلى منزلي الذي يقع على أطراف بلدنا ، وصلت الشارع المظلم تماما وكانوا قد حفروا الشارع استعدادا لمد خطوط الهاتف ،

وبفعل الأمطار الغزيرة التي ما رأت مثلها عين ، والظلام الذي يغرق الشارع ويلف الطريق سقطت ـ كما أنا ـ ببدلتي الأنيقة في الحفرة المجصصة ـ بالطين والأوحال سقطت ولكني سقطت واقفا تماما ، فأخذت ملابسي وأخذت الحظ الوافر من طين ووحل.

وخرجت من الحفرة ـ يا ويلاه يا ويلاه ـ وكان هذا لحسن الحظ ، بالقرب من المنزل ، وكل الناس نيام نيام نيام ، فمن حظي ما رآني أحد ، ولا رأيت أحد ، ممن أعرف ، أو ممن لا أعرف.

دخلت منزلي ، خلعت ملابسي ، وكان أبنائي نياما نياما ، ما أحس منهم أحد بما لاقى هذا الأب المسكين في هذي الليلة الرهيبة التي ما رأيت مثلها في حياتي كلها.

وبعد أن أزلت كل هذا الوسخ والطين عن جسمي في الحمام ، واستبدلت ملابسي النظيفة تناولت طعامي ، وحكيت لزوجتي باختصار عما لاقيت من الساعة الخامسة عصرا حتى وصلت منزلي ، وكان منظري يغني عن الكلام والقص والحكي.

وفي الصباح سارت حياتي في طريقها النمطي الروتيني المعهود ، لكن العبرة كانت ضرورية من هذي البداية المطيرة المطينة بالطين المطين (والرهريط) المزدان بستين (نيلة) هذي العبرة هي أن طريق الترقية طين في طين في طين.

وبالفعل كانت النتيجة التي كتبها أحد الفاحصين هي أن كل ما قدمته للترقية ، كان لا يخرج عما قدمت في رسالة الدكتوراه ، وكان من الظلم أن اللجنة الموسعة

بكامل أعضائها ـ بما فيهم أستاذي ـ الذي كان حاضرا ـ وافقوا بالإجماع على هذا الحكم الظالم ظلم الحسين وآل بيته.

وأصبت بأزمة نفسية حادة كادت تودي بي وتقضي علي قضاء مبرما ، ولكن يشاء الله لي أن أفيق من هذي الصدمة العنيفة التي ما أحس بها أحد من القريبين مني من بعيد أو قريب ، فضلا عن مواساتي ولو بكلمة أو حريف.

ذهبت بعد عودتي من العريش عقب تصحيح أوراق طلابي إلى أحد زملاء دفعتي في دار العلوم (دفعة ١٩٧٠م) وإذا به يخبرني بزميل من تيك الدفعة الذي ذهب إلى العمل في السعودية ، أصيب في حادث سيارة ، يجلس على كرسي متحرك، وذهبنا نحن الاثنين لزيارته في مدينة فاقوس (محافظة الشرقية) وعندما رأيت زميلي ، رأيت المنظر ، شفيت منه تماما من كل أمراضي ، فقد سألت نفسي سؤالا محددا : كم تدفع ـ يا أحمد ـ إذا كنت مكان زميلك لتقف على قدميك ، تمشي ، تروح وتغدو؟؟ الملايين الملايين لو أملكها هي رخيصة رخيصة لو بذلت في هذا السبيل.

وصرت صديقا لهذا الزميل المقعد، بل حاولت مساعدته في التعيين بإحدى الجامعات (في تربية دمياط وفي تربية السويس) لكني ما نجحت ، لكني بإخلاص سعيت وسعيت ، وإن كنا ما أدركنا هدفنا.

ومنذ سنوات عرفت أن هذا الزميل المقعد قد أصبح أشهر مدرس خصوصي في اللغة العربية في مدينته ، عمل يناسب تماما ظروفه القعيدة ، ولله الحمد منا والمنة.

وقد عرفت بعد تحليل الأمور أن وشاية جاءت من بعض الموتورين في تربية دمياط ، وربما من قسم اللغة العربية ، وقد استغلوا أحد طلابي في الماجستير ، فادعوا أنني نقلت عن الرسالة ، تماما كما ادعى الآن على أحد الزملاء الذين تقدموا هذا العام ـ ٢٠١٦م ـ للترقية فادعوا عليه أن نقل أحد أبحاثه ، من رسالة لما تنجز ـ لإحدى طالباته في الماجستير ووشوا به إلى رئيس اللجنة ، وإلى الفاحصين ، بل اختاروا له الفاحصين عن طريق رئيس اللجنة والتي انتهت رئاسته للجنة في أغسطس من هذا العام.

وعليه فبعد قرار اللجنة الظالم ضدي سافرت إلى ماليزيا عام ١٩٩٠ ، وعندها تلقيت رسالة من أستاذنا المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب عن طريق أحد أصدقائي في تربية دمياط لإعادة التقدم للترقية وعندما عدت تقدمت مرة أخرى للترقية إلى أستاذ مساعد، في عام ١٩٩٢، ورقيت عام ١٩٩٣ ، وقد كتب التقرير حبيبنا الدكتور رمضان عبد التواب بخطه الرائع الرائق الجميل ، هذا النص الذي أحتفظ به إلى لآن.

ومن عجب أنني في المنام رأيت ـ أي قبيل نتيجة ـ الترقية في المرة الأولى أنني وجدت مفتاحا مكسورا في جيبي ، وكانت النتيجة سالبة كما سبق.

لكن في المرة الثانية التي رقيت فيها رأيت في جيبي مفتاحا سليما ، لكن عليه أثر من التراب ، ونقلت هذا لأستاذي الدكتور رمضان ـ رحمه الله ـ ففسر سلامة المفتاح ولمعانه بالترقية ، وفسر هذا التراب القليل الذي علا المفتاح بأنه الحوار الذي دار حول موضع ترقيتي في اللجنة التي خاض فيها الدكتور رمضان معركته

مع المعارضين لترقيتي ، وفي النهاية رقيت بفضل هذا الرجل الكريم.

وتمر الأيام من عام ١٩٩٣ لنصل إلى عام ١٩٩٨م ، حيث تقدمت للترقية لدرجة (أستاذ) ثم سافرت إلى أوكرانيا ، وعدت إلى رئيس اللجنة ـ لكن (الأنا) عنده كانت متضخمة ، ولفرط كرمه الشديد معي ـ لعنة الله على الظالمين ـ فقد رد سنة ٢٠٠٠ على ما قدمت للترقية وبالسلب.

ولكني تماسكت وقدمت مرة أخرى ، وبفضل بعض الخيرين في اللجنة ، أمين اللجنة ، الرجل الفاضل الدكتور يوسف نوفل ، ورئيس اللجنة آنذاك الدكتور أحمد مرسى ، فقد رقيت في عام ٢٠٠٢م ، ولكن رئيس القسم (قسم اللغة العربية) في تربية دمياط ، ولفرط كرمه معي ، قد تمكن من المماطلة في ترقيتي حتى العام التالي ٢٠٠٣ م حيث رقيت لدرجة أستاذ.

ومن عجب ، أو من شجاعة وبسالة أن أعترف أن رئيس اللجنة كان صهرا لأحد أقاربنا الفضلاء ، وكان احد أشقائي يعرف هذي المعلومة ، وقد عاصر معي المشكلة منذ عام ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٣ إلا أنه لفرط إخلاصه لابن أمه وأبيه والرحم بيننا لم ينقل لي تيك المعلومة إلا بعد أن رقيت عام ٢٠٠٣ ، ولكني تمكنت من مساعدة أحد الحاصلين على الدكتوراه من بلدنا (ههيا) في تعيينه في الجامعة باستخدام أو بالإفادة من هذي المصاهرة.

وبالفعل عين هذا الدكتور ، ورقى إلى درجة أستاذ مساعد ، وطوال المدة السابقة من التعيين إلى قبل عام من الآن لم يحاول أن يتكلم إلي برغم أنه يسكن في

نفس المدينة معي ، بل إنني حضرت أكثر من مؤتمر في جامعته فإنه لم يأت مطلقا لمقابلتي للحديث معي أو رؤيتي.

ولكنه الآن يعد نفسه للتقدم للترقية إلى درجة أستاذ ، ولذا اتصل بي هاتفيا أكثر من مرة ، بل قابلني في ههيا أكثر من مرة ، وألح علي يستضيفني على الغداء في بيته ، وبطبيعة الحال فإن هذا موقوت إلى أن يرقى ، بعدها سيدخل في مرحلة الصمت (الانتخابي) بانتهاء فترة المكالمات الهاتفية واللقاءات والصمت التام تجاهي - ولا حول ولا قوة إلا بالله - مع أنه حكى عن الأخطاء الفادحة التي وقع فيها بسبب بعده عن الناس وعدم توافقه معهم في مجال عمله في الجامعة.

ومن تحليل ما حصل معي في الترقية أقول ربما وقعت في بعض الأخطاء فيما قدمت من إنتاج أو قصور ، خاصة في الشكل ، شكل المطبوعة ، لكن في النهاية يبقى تأخر اللجنة لسنين ، وهو ما لم يحدث مع أحد قبلي أو بعدي من المتقدمين للترقية.

لكني سردت أنواعا من الوشايات أو المماطلة من القسم ، أو حجب معلومة المصاهرة ، أو الشر المتأصل في قلوب الناس - لعنة الله عليهم أجمعين - ولا أقول إلا كما قال أحد الكتاب المصريين أو عبر عن عدم رضاه ، إذ لم يعد له أعداء ، فإن أعداءه ماتوا جميعا جميعا ، نعم من ظلمني أو من ظلموني في الترقية قد ماتوا في الأغلب الأعم ، ولكني دوما أدعو الله بأن يضيق عليهم في قبورهم ، وأن تكون حفرا من حفر النيران ، اللهم آمين ، اللهم آمين.

وأعود مرة أخرى إلى موضوع ترقيتي - عام ٢٠٠٣م - لأنطلق بعدها في طريقي نحو العمل والبحث وحضور المؤتمرات في الخارج والداخل والسفر إلى

الخارج حتى أحرزت تقدما ملموسا فيما سبق من المجالات ثم اقترح علي أحد الفضلاء أن أتقدم كي أكون عضوا في اللجنة الدائمة للترقية .. وبالفعل عاونني في التقدم عن طريق الشبكة الدولية (الانترنت) ثم أرسلنا نسخة ورقية إلى وزارة التعليم العالي، بقينا ثلاثة أشهر دأبا حتى فوجئت بأنني أصبحت عضوا في قائمة الفاحصين عام ٢٠٠٩م إلى أن أصبحت عضوا في لجنة الأساتذة - وليس الأساتذة المساعدين - في مارس ٢٠١٣، ثم أعيد تشكيل اللجنة في عام ٢٠١٦ لأبقى عضوا في لجنة الأساتذة أيضا ولمدة ٣ سنوات إلى عام ٢٠١٩م ، أمد الله في أعمارنا.

جدير ذكره أن بعض العناصر الشريرة قد تمكن من اختراق اللجنة - في رئيسها - وبعض أعضائها - واستغل هذا في إيذائي والتأريش بيني وبين رئيسي ، وفي إيذاء بعض الزملاء في عدم ترقيته ، ولكن الله انتقم منهم انتقامة تسود وجوههم إن شاء الله.

ومما يمكن أن يذكر أو يقال أن أحد الفضلاء من الزملاء في طريقنا إلى أندونيسيا عام ٢٠١٢م ذكر لي أنه كان هناك من هو أقدم مني ، أي (يفوقني في الأقدمية) ولكن المسئولين اختاروني لأن أعمالي قدمتني على من هم أقدم مني ، فلله الحمد والمنة..

ولعل مما قدمني ما قمت به من أنشطة إعلامية، وانخراطي في كتيبة الدفاع عن العربية في القاهرة - جمعية لسان العرب - جمعية حماة اللغة العربية - جمعية التعريب) وحضوري في مؤتمراتها وأنشطتها.

ولكني أعجب ، أقلب النظر في موضوع ترقيتي حصلت على الدكتوراه ١٩٨٣

ورقيت إلى أستاذ مساعد ١٩٩٣ ، عشر سنوات كاملات ، ثم رقيت إلى درجة أستاذ عام ٢٠٠٣ ، عشرة أعوام كوامل ، ولماذا ؟ من الفاحصين أو في اللجنة نفسها.

أستطيع أضيف هنا هو رغبة بعض أعضاء اللجنة في أن يرقى بعض تلامذتهم في جامعتي قبلي ؟؟ ربما ، ربما ، ولكن من أظن قدموه علي قد اصطدم بأحد مريديَّ ، فقدمه للتحقيق أكثر من مرة ، وفي كل مرة وقعت عليه الجامعة ما رأته من عقاب.

ولكن حياتي في الترقية وفي غيرها وفي غيرها هي رحلة من الصبر والدأب حتى أصبحت مقدما مميزا في بلدي، وفي غيرها من الجامعات التي شرفت بالعمل فيها وإن كانت لمدد قصيرة ، سواء في إفريقية أو أسيا وأوروبة ، وفي وسائل الإعلام وفي المؤتمرات والندوات ومع كثير ممن عرفني في مصر وفي خارج مصر، فلله الحمد والمنة.

وننتقل الآن إلى مقامة أخرى، أو مرحلة أخرى من مراحل حياتي أطالها الله وباركها ونسأ فيها.



المقامـة الآذريـة
رحلتي إلى أذربيجان عام ٢٠٠٨م

في دياك العام ٢٠٠٨ جاءتنا دعوة كريمة من المستشار الثقافي المصري في باكي ، أو كما تنطق الآن (باكو) حاضرة أذربيجان ، ومعنى الكلمة (أذربيجان) أرض النار ، فمنذ القدم كانت الأرض الآذرية تخرج النيران من جوانبها ، ولا يعرف الناس لهذا سببا ولا مصدرا ، حتى قيل إن ذاك البلد كان يغطي نصف احتياجات العالم من النفط قبل اكتشافه في العالم العربي ، هذا الاكتشاف الذي بدأ في الربع الأول من القرن الماضي (العشرين) أي منذ مائة عام تقريبا.

قضيت فوق العشرين يوما في رحلات مكوكية بسيارتي من الكلية إلى إدارة الجامعة حتى تمكنت من اخذ موافقة إدارة الجامعة ، وسافرت بعد حصولي على التذكرة بعد مساومات مع شركات السياحة والحصول على التذكرة من القاهرة إلى باكي والعودة عن طريق أحد السماسرة ، وقد حصلت على أقل سعر ممكن ، وهو أقل من خمسة آلاف جنيه بمائة واحدة فقط.

وبطبيعة الحال حصلت على التأشيرة من السفارة الآذرية في الحاضرة المصرية ، والتي كانت تقع في ضاحية المعادي جنوب العاصمة ، قاهرة المعز ، وقد عاونني ابني الأصغر في الذهاب إلى السفارة ، والحصول على التأشيرة إلى (باكو).

وسافرت من دمياط فى أقصى الشمال الشرقي من مصرنا ، وبسبب تلكؤ السائق والزحام في الطريق وصلت بعد إقلاع الطائرة، وتمكنت بعد جهد جهيد من

الحصول على تذكرة للذهاب عن طريق ألمانيا بدلا من طريق فيينا حاضرة النمسا لكن الطائرة لم تقلع إلى فرانكفورت قبل عشر ساعات ، بعد فجر اليوم التالي.

فكرت في الذهاب إلى شقتنا في حلوان - جنوب القاهرة - ولكني عدلت عن الفكرة ، فقد خشيت إن ذهبت إلى حلوان فنمت قليلا أخلد إلى الراحة فإني لا أملك أو لا أضمن أو أطمئن إلى استيقاظي في الوقت المناسب ، ناهيك أن الذهاب إلى حلوان قد يأخذ كثيرا من الوقت والنفقات ، قد يمتد فوق أربع ساعات ، ولذا كان قراري أن أمكث في المطار ، لكن أين ؟ في مسجد المطار.

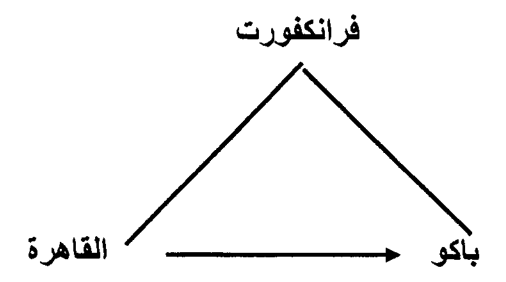
ولكن الفارق بين ركوب الطائرة النمساوية ، وبين ركوب الطائرة الألمانية (لوفت هانزا) من أرقى الطائرات التي ركبتها ، هذا الفارق وصل إلى خمس ثمن التذكرة ، ألف جنيه عدا ونقدا ، وحمدت الله أن حلت المشكلة ، وقد بقى الموظف المختص يعدل التذكرة قرابة الساعة إلى أن أعطاني التذكرة الأخرى.

وكان علي الاتصال بمنتظري في باكي ، وتم هذا عن طريق ابني حسن ، وهو ما تم وأسعد من دعاني للمؤتمر ، بعدها توجهت إلى المسجد، أصلي وأصلي ، وأقرأ القرآن ، ولكن الوقت طويل طويل يا ولدي ، فكان الحل أن أنتقل من السور المتوسطة إلى الطوال ، البقرة والنساء ، النساء والبقرة ، ومعهم آل عمران.

وقد تجنبت النوم خوفا من غلبته عليَّ فتفوتني الطائرة الثانية ، وقد حلت السور الطوال المسألة تماما تماما حتى أوشك واقتربت ساعة السفر فذهبت من فوري إلى باب الصالة التي تقلع طائرة (لوفت هانزا) ولكن الوقت ما حان، فكان علي الانتظار مع تربص فتح الصالة لركاب الطائرة المذكورة.

وذهبت إلى الصالة فور فتحها وبعد التفتيش وتفتيش الحقيبة ذهبت إلى الميزان، لا وزن معي ، أقصد ليس معي وزن زائد يثير المشكلات ، أو الجدال مع الموظف المختص ، أعطيته صورة من التذكرة مع جواز السفر ، ثم أعطاني بطاقة الإركاب ومعها بطاقة الجوازات التي ملأتها ، ثم انصرفت إلى الجوازات ـ كما هو المألوف المعروف ـ وقفت في الصف حتى جاء دوري فأعطيت الضابط المختص الجواز والبطاقة وبسرعة ختم خاتم السفر على الجواز وأخذ مني البطاقة ، وانصرفت إلى البوابة التي منها نركب الطائرة إلى فرانكفورت في ألمانيا ، ثم إلى الحاضرة (باكو).

وقد نظرت في الخريطة على الطريق الأوروبي إلى الحاضرة الآذرية فوجدته طويلا طولا ، بل فارع الطول ، في حين تقع مدينة (باكي) على الساحل الغربي لبحر قزوين ، إلى الشمال من إيران ، وإلى الشرق من تركيا، فإذا طارت الطائرة من القاهرة متجهة شرقا مع ارتفاع قليل نحو الشمال فلعل تيك الطائرة تصل الحاضرة الآذرية خلال ساعتين فقط ، فما معنى أن نرتفع شمالا إلى وسط أوروبة لتستغرق الرحلة يوما أو ليلة ، أكثر من ٤ ساعات إلى فرانكفورت ، ومثلها أو يزيد من ذياك البلد، إلى عاصمة بلاد النار ، هكذا :



في حين نرى الطريق المستقيم من القاهرة إلى باكو ربع هذي المسافة عن طريق أوروبة.

باكو ———————— القاهرة

وهذا شيء معتاد في ديار بني يعرب ، فعلى المسافر منها أن يذهب إلى الديار الأوروبية ومنها إلى الأقطار المجاورة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي مطار فرانكفورت كان في انتظاري مفاجأة ، لقد فعل البرد الذي تمكن من معدتي في الليلة التي سهرتها في المطار ، فانفجرت في إحدى حمامات المطار ، ولكني تمكنت من هزيمة هذا الانفجار بأقراص من صيدليتي التي أحملها دوما في سفري ، فصرف الله عني ما كان بي.

وركبت الطائرة من فرانكفورت إلى (باكي) ونزلت من الطائرة خرجت من المطار لأجد في انتظاري أحد طلاب الدكتوراه في اللغة العربية بتكليف من أمانة المؤتمر والمستشار الثقافي المصري في العاصمة الآذرية.

وعلى مائدة سفير مصر في (باكو) على العشاء في منزله التقيت السفير محمود السعيد الذي رشحني للعمل في أكرانيا ١٩٩٧ ، فحكيت له ما حدث في المقابلة في مكتبه بوزارة الخارجية في القاهرة كما يلي :

سألني السفير في المقابلة بعد أن دخلت عليه ما هي خبرتك في تعليم اللغة العربية لغير العرب ؟ قلت ساعتها هذا يختلف من منطقة لأخرى ، فالشخصية الإفريقية جسورة جريئة ولذا فإنها عند تعلمها العربية تجرؤ على الكلام - خاصة -

والكتابة ، ولا تبالي بالصواب والخطأ ، في حين تجد الشخصية الماليزية - مثلا - وفي جنوب شرق أسيا بشكل عام ، هذي الشخصية متأنقة تميل إلى الفعل على كمال وجمال وتمام ، ولذا فإن هذا ما يطبع تعلمهم للعربية ، يتحفظون كثيرا في الكلام بالعربية ، في حين تجد مهارتهم في الكتابة وفي قواعد العربية في غاية التأنق والتجمل ، وفي محاولة تحسين الخط.

ويبدو أن السفير أعجبه الكلام فرشحني للعمل في جامعة كييف الحكومية للغات ، ثم في مأدبة السفير وبعد سرد ما سبق قدمت للسفير تشكراتي البالغات على أنه أعطاني حقي دون واسطة ودون أن يكون أبي وزيرا أو أمي مديرة ، أو ... فرد بأن هذا واجبي وهذا عملنا دوما ، وطريقنا ، فالحمد لله ، له الشكران والعرفان ، وللمخلصين المخلصين في مصرنا الحبيب الرضا - منا - والامتنان.

وسر الرجل سرورا بالغا قائلا لي : (لقد أعدتني بالذاكرة إحدى عشرة سنة خلت) وكنا عامها ٢٠٠٨م ، وما حدث وقصصته كان في عام ١٩٩٧، وتمكنت أن ألتقط لمعاليه صورة وهو في غمرة السعادة والابتهاج والانسجام وقمته ، ولازلت أحتفظ بتيك الصورة.

وكان تعليق بعض الحاضرين أنك - أي كاتب السطور - استوليت على السفراء في المؤتمر ، وتأتي هنا أيضا لتستولي على السفراء مرة أخرى ، نعم أيها الحاقد ، أنا أتميز بروح المبادرة مع الناس ، أنا أبادر بلقياهم والتودد إليهم إذ التودد إلى الناس نصف العقل ، ومسامرتهم وإدخال ما أمكن من البهجة والسرور إليهم ، فإن وجدت صدا أو صدودا فلدى قدرة على الانسحاب المبكر بأدنى خسارة ممكنة أو حتى دون أية خسائر.

وعلى هامش المؤتمر استضافتنا جامعة (قزغستان) على أطراف الحاضرة الآذرية ، وفي ذات اليوم وذات الوقت استضافنا المستشار الثقافي المصري وعلى الغداء ، وكان المخرج أن نذهب لتناول طعام الإفطار في الجامعة المذكورة ، وتناول الغداء على مائدة المستشار الثقافي ، وعلى مائدة الإفطار التي زانها عميد كلية التربية ، والذي كان يتكلم العربية بطلاقة واضحة وخفة ظل ، في ظل طعام شهي ذي نكهة طيبة محبوبة ، برغم أنه كان إفطارا وطعاما متواضعا بادي التواضع ، ومع هذا كان شديد (الطعامة واللذاذة).

بعد الطعام قمنا بجولة في كلية التربية للاطلاع على أهم معالمها وأنشطتها ـ سيما في خدمة العربية ـ ثم انصرفنا من الجامعة إلى استراحة المؤتمر.

جدير ذكره أن في هذي الجامعة موفداً مصرياً ، تلميذنا السابق الذي عنه وأهله تكلمنا ، وقد رافقنا في مأدبة الإفطار ، وفي جولتنا في كلية التربية.

ومن ناقلة القول أن نقول إنني أسهمت بتقديم فكرة دستور اللغة العربية ، هذا المشروع الذي منه فرغنا الآن ، وقد استوى على سوقه ، فخرج في ٧٥ مادة بالكمال والتمام ، وشرحهن في قرابة الألف صفحة ، في سبع حلقات (أجزاء).

مشروع طموح يرصد أهم خصائص اللغة العربية التي لا تفارقها مثل :

- لا تبدأ الكلمة العربية ـ ولا المقطع العربي ـ ولا التفعيلة العروضية ـ ولا الجزء من التفعيلة) كل هذا لا يبدأ بحركة طويلة ولا قصيرة، ولا بصامت ساكن (غير متبوع بحركة) وهذا واضح جدا جدا في الفصحى العربية.

- وفي النثر العربي لا وقف إلا على الساكن أو الحركة الطويلة فقط ، فقط أما في الشعر فيصح الوقف على الحركة الطويلة والقصيرة كلتيهما.
- لا ينتهي الاسم المعرب مطلقا بواو مد ؟ مطلقا مطلقا ، أما واو المد في مثل : (إنه هو) بواو مد بوقف عليه في (هو) فهذا اسم يا عربي بنى يعرب ، ولكنه اسم مبني.

أما واو المد في مثل (عليو - محمدو) فهي نطق غير عربي لأبناء قبائل الهوسا في غرب افريقية ، ليس نطقا عربيا.

وقد ذكر لي المترجم من العربية إلى الآذرية أن ترجمة ذياك الموضوع كان صعبا صعبا.

وفضلا عما سبق تداخلت مع كثير من المتحدثين في المؤتمر وتبادلت معهم أطراف الحديث ، فأنا كما وصفني صديقي العزيز الراحل (د. عاطف نصار) مؤسس جمعية لسان العربي لرعاية اللغة العربية - وغيره - وغيره - بأن لي حضورا بارزا مع الحضور في أي محضر أحضر فيه ، وهذا حق وصدق.

وبعد المؤتمر عدت إلى مصر من النمسا ، ومنها للقاهرة ، ومنها إلى مسقط الرأس (ههيا محافظة الشرقية) بعد أن حملت إلى أسرتي الهدايا من الديار الآذرية ، ولنفسي أيضا على رأسها ملابس شتوية تقينا إلى الآن برد بلدنا ، وعلى رأسها معطف أنيق ، كلفني أيامها - ٢٠٠٨م - ٤٠ دولار أمريكي فيا لهول الهول!! مبلغ يجعل الولدان في المهد شيبا ، وفي مدينة دمياط - العامرة خرج أحد الشبان من متجر للملابس - في الطريق الحربي - فحكيت له ما سبق ، فقال : إنه لا يلبس

المعاطف إلا الأعيان والأغنياء ، وأن الثمن رخيص جدا ، إنه (٢٤٠ جنيها مصريا) وأقل معطف شديد التواضع الآن ثمنه قرابة ١٤٠٠ جنيه ، إذن ربح البيع وربح.

ولكني تمكنت من شراء معطف آخر من تونس العاصمة بخمسة وعشرين دينارا ، أي في حدود مائة جنيه بالتمام ونهاية الكمال ، وقد وقعت هذي الواقعة في رحلتي إلى تونس ٢٠١٣/٢٠١٤م.

ومما يذكر عن رحلة أذربيجان أنني تمكنت من استرداد ثمن التذكرة والفرق الذي دفعته في مطار القاهرة من جامعة دمياط ، وهو مبلغ ٦ آلاف جنيه بالتمام التمام والكمال ، كما لم أنفق شيئا يذكر اللهم إلا أثمان الهدايا والمشتريات ، أما الإقامة فكانت في استراحة الجامعة في حرم الجامعة كما كان الطعام بوجباته الثلاث في مطعم الجامعة الذي كان على مقربة عدة خطوات من الاستراحة التي فيها أقمنا نحن الثلاثة الذين حضرنا من مصر العامرة.

المقامة الجالوية

في إحدى الليالي لعام ٢٠٠٩م نظرت إلى السماء قائلا : يا رب اختر لي بلداً آخر ، بعد أن تكالب نظام حسني مبارك على البلد ، وعلى الجامعات الحكومية في مصر ، أو بتعبير دقيق صحيح الجامعات الأم لإخلاء الطريق للجامعات الخاصة والمعاهد الخاصة تماما كما فعلوا في القطاع الخاص ، تركوه ينهار ، وينحرف للقضاء المبرم عليه بما يسمى بالخصخصة ، وبيع هذا القطاع بأقل من تراب الطحين ، بثمن بخس لضرب البلد في مقتل ثم تسريح العمالة الماهرة الفنية في القطاع العام ، لتستقبلهم الشوارع والمقاهي والبطالة والمعاشات المبكرة .

وقد انتقل المشروع اللامبارك إلى الجامعات المصرية وقد تمثل المشروع فيما يلي :

١ ـ تصفية الشُعب[1] والأقسام والكليات فقد كان لدينا في كلية التربية بدمياط ٦ شعب صناعية أغلقت إلى غير رجعة ، وقيل عند فتحها بأنها فتحت لتعيين ابن أحد القيادات في الجامعة ثم أغلقت هذي الشعب لينتقل هذا الزميل إلى كلية الهندسة ، الأمل الذي يرنو له ويتشوق إليه أبوه.

٢ ـ إغلاق شعب وأقسام بكليات التربية والتربية النوعية وقد بدءوا بكليات التربية النوعية بضمها إلى الجامعات ، أما كليات التربية فكان المخطط لها

(١) الشعب مفرد شعبة وهي تختلف عن القسم ، ففيه طلاب وأعضاء هيئة تدريس ومعاونوهم ، أما ا لشعبة ففيها طلاب فقط بدون أعضاء هيئة تدريس.

أن تبقى كلية للدراسات العليا برسوم خيالية فلكية لمن اضطر للحصول على دبلومات التربية ، سيما وأن المدارس في مصر والسعودية وربما في غيرها ، تيك المدارس اشترطت على من يتقدم للعمل بها الحصول على دبلومات التربية ، كما تبقى كلية التربية تعطي أيضا دورات مختلفة بأسعار نار في نار ، وهكذا تبقى كليات التربية أسدا بلا لبدة تبقى رسما ومظهرا ، لا نفع فيه للناس .

٣- استدراج أعضاء هيئة التدريس إلى المشكلات القاتلة التي تؤدي إلى الفصل أو السجن أو المرض أو المرض حتى الموت أو الأزمات النفسية أو المرض النفسي .

ففي كلية العلوم بدمياط فصل اثنان ، أحدهما أعرفه وكان رئيسا لأحد أقسامها، كان له ولد في الدراسات العليا ثم كتب أستاذ المادة الدرجات للطلاب بمن فيهم ابن رئيس القسم ، ورأى الرجل أن ابنه يستحق درجة أعلى فطلب هذا من أستاذ المادة الذي كتب كشفا آخر رافعا درجة ابن الرئيس ،ونسي الرجل أن يأخذ الكشف القديم للتخلص منه.

ويقال إنه بالاتفاق مع العميد قدم الكشفان إلى الجامعة وادعى أستاذ المادة أن رئيس القسم استخدم نفوذه لزيادة درجة الابن بغير الحق وعليه قدم الرجل للتحقيق، ثم لمجلس تأديب ثم للفصل من الجامعة .

أستاذ الجامعة هذا سبب المشكلة سبب المشكلة أضاع ورقة إجابة ثم ادعى أن الورقة تخص ابن إحدى السكرتيرات في أحد أقسام الكلية وأن أحد أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية هدده بأن الولد راسب ، وإذا لم ينجح فسوف يسرق ورقته .

وقد قام عميد الكلية ووكيل الكلية بالتحقق من الأمر فاتضح أن ابن السكرتيرة نجح طبقا لورقته التي عثرا عليها ، وأن الورقة المفقودة لا تخص هذا الولد إنما تخص غيره .

وذهب الزميل المتهم بتهديد هذا الدكتور ومعه بعض الناس إلى الحجرة التي كان يصحح فيها زميلنا في كليته كلية العلوم التي كان منتدبا منها إلى كليتنا كلية التربية ولكن هذا المتهم بكسر الهاء لم توجه له كليمة ولا حريفا من بعيد أو من قريب .

قابلني في آخر مرة من سنوات ،وهو يجر قدميه مرضا وثقلا وهو يعاتبني على جفائي ، ولكن ما حدث لزميلنا في كلية العلوم لا ينمحي من الذاكرة .

كما سمعت عمن فصلوا في جامعات أخرى مثل جامعة السويس الذي استدرج - أحد الزملاء - في قضية رشوة سجن بسببها ٣ سنوات وفي أول جلسة لمجلس التأديب فصل هذا الزميل ، وبقي حتى عام ٢٠١٦م ، وبعد هذي السنوات الطوال في المحاكم عاد إلى عمله هذا العام فقط .

أحد الوكلاء ضبط حالة غش ، أحد الطلاب رسب في مادتين طبقا لورقتي الإجابة ، المسكين قدم الحالة إلى الجامعة التي أحالته هو وعميد الكلية للتحقيق ثم

إلى مجلس تأديب وكنا في الكلية نتوقع أن يفصل الوكيل عقابا له على ضبطه لحالة الغش والتدليس عقابا له على نبله وشفافيته ردعا لـه ولأمثالـه ، ولكن الله لطف بـه بفضل تدخل بعض الخيرين في الكلية فعوقب باللوم والحرمان من العلاوة وكان الرجل يشكو صارخا إذا أمسك الشرطي باللص متلبسا بالسرقة وجاء القضاء فحكم ببراءة اللص المتلبس ، فلماذا يعاقب الشرطي الذي ضبط لصه متلبسا بلاشية ولا رائحة من شك أو ريبة.

هذا ذكرني بأحد اللصوص الذي جاء لسرقة قطعة من خشب سور قديم ، وإذا بأحد الناس من الجيران يراه يسرق ، ساعتها هدده بإبلاغ الشرطة ودخل الرجلان ـ اللص ومن ضبطه ـ في جدال طويل حتى طب عليهم الشرطي فما كان من اللص إلا أن ادعى أن الآخر سرق القطعة الخشبية وطلب منه حملها ، ولكن رفض . ليلتها سيق الرجلان إلى مركز الشرطة حيث أصر اللص على كلامه ، وكذا أمام النيابة وحوكم الرجلان اللص ومن ضبطه ونجا اللص فقد كان ذا هيئة حسنة ، وعوقب من ضبطه بثلاثة أشهر سجنا فقد كان ذا طلعة مشبوهة تصوره على شكل أقرب للص منه إلى ضابط للحرامي.

ومالنا نذهب بعيدا أو قريبا فقد حيكت لي المؤامرات والتحقيقات المطولة ، أول شيء عندك مكتبة تخص ما سمي مركز تحقيق التراث بالكلية ـ كلية التربية آنذاك ـ قلت للعميد : هذي الكتب كلها جاهزة للتسليم ، قال : لا ، لابد من فرزها وجردها ، قلت : أنا جاهز لكن العميد أوعز إلى موظفي المكتبة بالتراخي في عملهم حتى أنجزوا عملهم في جرد الكتب عهدتي في عدة أشهر ، وبعد جرد الكتب قالوا : هناك كتب ناقصة ، نعم هذا صحيح ، ولكن هذي الكتب معارة لزملاء ومعي أصل

الإيصالات التي كتبوها بخط أيديهم ، بما فيهم أنت العميد ، قال : لا ، لابد أن تدفع أثمانها أضعافا مضاعفة إلى عشرة أضعاف ، ساعتها دفعت المبلغ ، وكان فوق الألفي جنيه .

وكان أعضاء هيئة التدريس بقسم ا للغة العربية بالكلية ومعاونيهم ، وكذا باقي الأقسام الأكاديمية (وأقسام اللغة الإنجليزية والفرنسية والجغرافيا والتاريخ ... الخ) قد نقلوا إلى كلية الآداب ، وهنا بقى طلاب هذى الأقسام في كلية التربية كشعب أي طلاب بلا أعضاء هيئة تدريس الذين نقلوا إلى كلية الآداب حيث ينتدبون إلى كلية التربية للتدريس لهؤلاء الطلاب .

بقى في الكلية ما يسمى بالأقسام التربوية في كلية التربية خاصة أقسام علم النفس وأصول التربية والمناهج وتكنولوجيا التعليم في ظل فرحة التربويين الذين سعدوا برحيل الأكاديميين عنهم ، وبقائهم وحدهم في كليتهم ، وكان الأكاديميون أشد فرحا برحيلهم إلى كلية الآداب أملهم وتشوقهم ، ففيها دراسات عليا أكاديمية (ماجستير ودكتوراه) إشرافات ومناقشات .

وما درى هؤلاء وهؤلاء أن كلية التربية بعد نقلهم عن كليتهم سيجعل كليتهم أسدا بلا لبدة ، مشروع غير مبارك ، أو خطوة في هذى المشروع المشئوم بتصفية كليات التربية ، وخاصة من طلابهم لتتحول إلى مشروع استثماري هدفه الأساس ليس الربح ، لكن مص الدماء ، واستغلال حاجة الناس للدورات والدبلومات والدراسات العليا .

أما مسطر هذه السطور فإنه تخلف عن زملاء قسمه الذين سبقوه إلى كلية الآداب ومن ثم حذف جدولي في الآداب بحجة أنني تأخرت ، وعبثا حاولت الشكوى

إلـى إدارة الجامعـة ، ولكـن هيهـات هيهـات ، ولـذا لجـأت إلـى أسـلوب (الدروشـة) والسـذاجة ، فـذهبت إلـى عميـد الآداب وقلـت لـه أنـت أخـي وحبيبـي ، فـإذا كنـت أنـا أخطأت فإني أعتذر منك ، وإذا كنت ـ أخطأت ـ أنت ـ فأنا أعتذر ، وأقبل رأسك .... وللمفاجـأة نـادى علـيَّ مـدير مكتبـه قـائلا لـه : أعطـه جدولـه ، وأخذت جدولي بهـذه الطريقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

نعود إلى كلية التربية حيث إن عميدها لم يكتف بكل مـا سبق ، بل ألـب علـيَّ سكرتيرة القسم ، قسم اللغة العربية وبعض الموظفين لإدخـالي فـي دوامـة التحقيقـات ولكنـى بخبرتـي فـي الصـراع النـاعم تمكنـت مـن تقليـل الأضـرار حتـى وصـلت الحـد الأدنى، بعقوبة خفيفة ، وبعد إحالتي إلى التقاعد (المعاش) لا ضرر منـها ولا خـوف .

هذا العميـد لـم ينسـني أيضـا عنـدما اعتلـى منصـبا هـو الأرفـع فـي الجامعـة أن يحولني إلى التحقيق بحجة أنني أخطأت في نتيجة بعيد عام ألفين بـأن أعطينـا طالبـا في الكنترول تقدير (جيد) وحقه (مقبول) لأننا في الكنترول جمعنا لـه درجاتـه خطـأ .. وللمفاجأة كان الطالب سنتها رسب في مادة ولذا لم تجمـع لـه درجاتـه ، ولا يحـق لنـا هذا ، وهو ما فوجئ به المحقق الذي بدا معبأ ضدي ، ومتوثبا لاقتـراح الجـزاء الـذي أوصِى بـه ، وللمفاجـأة التـي فاجأتـه أننـي طلبـت منـه أن يجمـع للطـالـب بعـد افتـراض نجاحـه فـي المـادة ، فـإذا بهـا نفـس الـرقم ، دون شـبهة أو شـية من خطـأ فـي حسـاب الدرجات وجمعها ، وعجب المحقق كيـف فـات المسئول في الجامعـة مـا سبق ؟ وقـد عزوت هـذا إلـى العجلـة وعـدم التركيـز والرغبـة فـي الانتقـام ، أي انتقـام ؟ كـان هـذا المسئول الكبير والذي أحيل الآن إلـى التقـاعد معيـدا عنـدما جئـت إلـى كليـة التربيـة ، كنت مشرفا علـى الامتحانـات يومهـا ، وهـو ملاحظ فـي لجنـة ، وإذا بـه يتـرك اللجنـة

دون علم أو إذن منى أو من غيري ، وكان على يومها أن أقدم مذكرة بهذا الهروب إلى عميد الكلية الذي أحالهُ للتحقيق ، عوقب بعدها بستة أيام خصما من مرتبه .

وعودا إلى موضوع الكتب الناقصة من عهدتي فإن من أعطى العميد المستندات الخاصة بهذي الكتب هو أحد الزملاء المقربين منى بل كان عنده كتب من هذى الكتب الناقصة من عهدتي بها احتفظ حتى دفعت أثمانها ، بعدها رماها إلى ، أي بعد أن دُفعت أثمانها ، وهكذا فعل زميل آخر ، أخلاقه عالية أعلى من الكعب العالي .

سويت جميع المشكلات في كلية التربية في الأعوام ٢٠٠٧ ، ٢٠٠٨ ، وفى عام ٢٠٠٩ تطلعت إلى السماء ذات ليلة ، وقلت : يا رب اختر (شوف) لي بلدا آخر، غير هذا البلد . يا إلهي في فجر اليوم التالي الساعة السادسة فجرا أو حولها فإذا تلميذي في تايلاند (سليمان تيه) يخبرني أنهم يحتاجون إليَّ للعمل بجامعة جالا الإسلامية في جنوب تايلاند ، والتي أصبح اسمها الآن (جامعة فطانى) وسيعطوني راتبا هو كذا ... لا بأس ، وعلى بركة الله .

إني أعرف تاريخ هذى الجامعة منذ قرار إنشائها [1] عام ١٩٩٧ لتقوم تحت مسمى كلية جالا الإسلامية ١٩٩٨ ، بعد عشر سنوات ، أي عام ٢٠٠٨ تقوم تحت مسمى (جامعة جالا الإسلامية) وهذا ما كان .

---

(١) هذا القرار الذي أصدره السلك الديبلوماسي العربي عام ١٩٩٧ في بانكوك وبمباركة من رئيس البرلمان التايلاندى آنذاك (مآته محمد) وقد التقيته في الجامعة عام ٢٠٠٩م .

ولكن صلتي بتايلاند بدأت مبكرة عن هذى التواريخ ، عندما كنت أعمل في ماليزيا ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢ رأيت رؤيا مفادها أن يعدلى في بانكوك سلة من خبز فاخر، وقد عجبت لما رأيت ، ولا زلت أعجب .

وفى الجامعة الإسلامية في جالا تعرفت على تلميذي (سليمان تيه) تايلاندي كنت أدرس له في الجامعة الإسلامية في ماليزيا (١٩٩٠ ـ ١٩٩٢) ، وقد اقترح على زيارة بلده وهو ما تم في عام ١٩٩٢ ، حيث قابلنا الحاج عمر الطيب مدير معهد الترقية الإسلامية في ناراتيوات ، فكان مما ذكر أنه يتشوق لزيارة مصر ، فقد تركها عام ١٩٦٧ ، بعد أن تخرج في أزهرها ، وهو يتوق إلى رؤيتها مرة أخرى ، قلت : هذا أمر سهل ، قال الرجل : كيف ؟ نرسل لك دعوة لحضور مؤتمر في مصر ، قال : وزوجتي ، قلت : وزوجتك وكل من تحب ، شرط أن تأتوا على حسابكم ، أما استضافتكم في مصر فهو أمر سهل وبسيط .

وبالفعل أرسلت إلى الرجل دعوة لحضور مؤتمر أعلام دمياط عام ١٩٩٢ ، وحضر المؤتمر الذي احتفى به احتفاء ، ثم سافر إلى الكويت للقاء صديقه الذي كان وزير الأوقاف ونائبا لرئيس الوزراء .

عامذاك ـ ١٩٩٢ ـ عين الشيخ عمر بعد عودته عضوا في مجلس الشيوع التايلاندي ضمن ثمانية نواب عينهم الملك الراحل بومى بون ، الذي توفى هذا العام ٢٠١٦م .

وفى عام ١٩٩٨ زرت تايلاند ثانية لحضور مؤتمر الدراسات الإسلامية في منطقة جنوب شرق آسيا والذي عقدته جامعة الأمير سنقلة كرين ، فرع فطانى قدمت

فيه دراسة عن إحياء طريق الحرير (القديم) الذي كان يربط غرب آسيا في الشام بشرق آسيا في الصين ، حتى إن المسلم ليحلم بركوب البر ، ليس من غرب آسيا فقط ، بل من المغرب العربي حتى جنوب تايلاند .

وعلى هامش ذياك المؤتمر زرت صديقي الشيخ عمر في معهد الترقية الإسلامية ، لقد كان في أندونيسيا ، لكنه اتصل بإدارة المعهد أن تأتى سيارة المعهد إلى المؤتمر لتأخذني دون أن تعجل على ، ثم أتناول طعام العشاء ، بعده يذهبون بي إلى فندق ٥ نجوم ، وفى الصباح ذهبنا إلى المعهد ، وكان معي ضيف أندونيسى اسمه الزمخشرى ، كان معي مؤتمراً بكسر الميم معي ، جاء الشيخ من الطائرة إلى المعهد قبل أن يدخل بيته لتغيير ملابسه ، وعاد لتناول الإفطار معنا ، بعده تجولنا في أنحاء المعهد الذي كان به طلاب مسلمون من الحضانة إلى المرحلة الثانوية .

عدد الطلاب فاق الثلاثة آلاف طالب ، بل ذكر لي الشيخ أنه رفض ٨٠٠ طلب لتسجيل الطلاب في معهده ، وأنه اقترض من البنك ليبنى مزيدا من الفصول بضمان شخصي من الشيخ ، بعد تلك الزيارة ذهبت إلى ماليزيا للقاء أصدقائي هنالك ، وقد فصلنا الكلام عن تلكمو الزيارة في المقامة الماليزية .

نقفز من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٩ ، حيث رأيت أن أذهب إلى تايلاند أستاذا زائرا لمدة ستة أشهر ، وتقدمت إلى كلية الآداب أطلب الموافقة على هذا ، لكن الموظفة لسبب من حسن النية ، أو لآخر من القصد والطوية طلبت منى صورتين وملء سبع استمارات لاستطلاع رأى الأمن في هذى الزيارة . وعبثا عبثا حاولت إقناعها أن استطلاع الرأي إنما يكون لمن يأتي إلى الجامعة زائرًا ، وليس لمن يذهب من هنا ،

لكنها أصرت على رأيها ، فقلت لها : لو كانت إعارة أنحتاج إلى هذا الاستطلاع ؟ كلا ، كلا ، لا نحتاج إلى شيء - شيء - من هذا .

وفى النهاية وافقت الجامعة لإعارتي إلى جامعة جالا الإسلامية - كما كان اسمها - ولمدة عام قابل للتجديد ، وسافرت إلى الجامعة في مقرها في بلدة (سورون) من أعمال مدينة جالا ، في جنوب تايلاند ، وكان من ذوق الناس وأدبهم معي أن انتظرتني سيارة الجامعة في مدينة (هجاى) وفى انتظاري شقة مفروشة في الطابق الثاني على رابية تطل على مباني الجامعة ، خاصة جامع الجامعة .

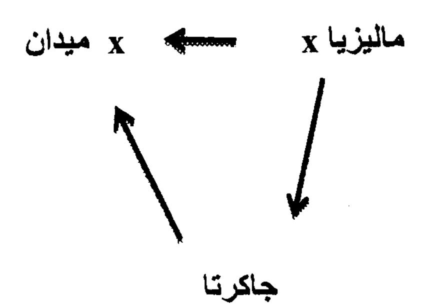
وتسلمت عملي في الجامعة ، وتعرفت على إدارة الجامعة والزملاء :

- د . إسماعيل لطفي الذي التقيته قبلا في مؤتمر ١٩٩٨ ، كما زرته في الكلية الإسلامية السابقة.
- د . أحمد عمر نائب رئيس الجامعة .
- الأستاذ شافعي نائب رئيس الجامعة الذي لا يعرف العربية ، بل الإنجليزية ، يسعد كثيرا عندما نتكلم معه بتيك اللغة .
- عبد الرحمن وان : مدير العلاقات العامة .
- عدنان عميد الكلية التي انتسبت إليها .
- عبد الوهاب الشعراني في مكتب عميد الكلية .

وسرعان ما دب الخلاف بيني وبين عميد الكلية ، ولكنى أرجأت الحوار معه حتى عودتي من مؤتمر اتحاد مدرسي اللغة العربية الذي انعقد في الشهر التالي من وصولي إلى الجامعة ، أي في أكتوبر ٢٠٠٩ م ، وقبل السفر سألت عبد الرحمن وان

عن الطريق إلى مدينة (ميدان) التي انعقد فيها المؤتمر سيما أن إدارة المؤتمر نصحت بعدم السفر إليهم من طريق العاصمة جاكرتا التي تبعد عن (ميدان) ٤ ساعات بالطائرة .

قال عبد الرحمن : تذهب من جالا في جنوب تايلاند جنوبا جنوبا إلى شمال ماليزيا في بينانج ، ثم تتجه في البحر غربا أي في خليج ملقة الذي يفصل ماليزيا عن جزيرة سومطرة الأندونيسية ، حيث تقع مدينة (ميدان) على الحافة الشرقية للجزيرة المذكورة ، أما الحاضرة جاكرتا فهي تقع على الحافة الشمالية من الجانب الغربي لجزيرة جاوة التي تقع إلى الجنوب الشرقي من جزيرة سومطرة ، معنى ذلك أننا لو ذهبنا إلى جاكرتا لنزلنا جنوبا جنوبا ، ثم نصعد شمالا شمالا ، حتى أقصى الشمال ، شمال سومطرة لنصل إلى مدينة ميدان في أقصى الشمال الشرقي من الجزيرة ، هكذا .



ولكنى جبنت أن أركب البحر - عفوا - أركب المضيق إلى الميدان ، وكانت التذكرة أرخص بكثير عشر تذكرة الطيران التي زادت عن ٤٠٠٠ بات (العملة التايلندية) = أكثر من مائة دولار أمريكي ، وقد استغرقت الرحلة ٤٥ دقيقة طيرانا ، بدل ٤ ساعات في البحر.

ذهبت إلى المؤتمر ، وفى آخر يوم استضافنا معهد نور الدين العربي في مدينة ميدان حيث جمع طلاب المعهد ومدرسوه وأفراد الإدارة في مسجد المعهد ، اعتليت منبر الجامع لأقول للمستمعين كلمة باللغة العربية ، تلتها كلمة لأحد الزملاء الذي كان يعمل معي في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سابقا ، وكانت كلمة ضافية مثيرة مشوقة ، بعدها ذهبنا للمطعم لتناول الغداء ، وبعد أن كتبنا لهم كلمة في دفتر الزيارات.

ثم قفلت راجعا من نفس الطريق ، من ميدان إلى بينانج ، بت ليلتها في ماليزيا، ثم اتصلت بسائق (الرتو) أي (الميكروباص) الحويفلة الصغيرة .

ففي المطار سألت عن فندق ٣ نجوم ، أعطوني العنوان ، وقبل أن آوى إلى فراشي كان عليَّ الاتصال بسائق (الرتو) الذي جاء بي من تايلاند إلى ماليزيا ، كي أعود من نفس الطريق ، أي إلى تايلاند ، ووعدني الرجل أن يأتي صباحا كي أسافر معه ، وقبل أن أنام جاء قواد واعدا ، بالسعادة والهنا ، يلح ويلح ، ولكنى أعلنت له بالإنجليزية (لا مال ، ولا صحة ، ولا وقت ، ولا ثروة) عندي أو معي ، وبرغم إلحاحه فإنني رفضت احتراما لنفسي وخوفا عليها وفرقا مما إليه يدعوني .

وعندما يئس الرجل انصرف ، وتركني للصداع الشديد الذي تملكني ، لكن كان معي المسكنات المناسبة، فابتلعت منها قرصين ولففت رأسي بمنشفة (باشكير) وتغطيت جيدا ، ونمت حتى أيقظني المنبه الساعة ٨ صباحا لأسرع إلى الإفطار حتى لا يفوتنى .

بعدها جاءني السائق فذكر أنه تأخر ساعة عن موعده بسبب حسابه الخاطئ لفارق التوقيت بين تايلاند وماليزيا ، إذ تصور أن التوقيت واحد بين البلدين ، تفرق ساعة واحدة بين توقيتي البلدين .

هذا (الرتو) بين البلدين يمكن أن تتصل به من بيتك لتنتظره في الطريق ، كما عليه أن يوصلك إلى هدفك في المدينة ، وليس إلى الموقف فقط ، وفى طريقه أيضا يقف لك أمام بيتك أو قريتك ، ففي الطريق من تايلاند إلى بينانج (الماليزية) فوجئت بالسائق بعد أن عبرنا الحدود التايلاندية إلى ماليزيا يقول لي : (إنه لن يذهب إلى المطار) ثم طلب منى النزول لأركب مع زميل له ، تخيلت أنه سيطلب فرقا من مال لقاء توصيلي إلى المطار ، لكن الرجل ما تكلم في شيء ، بل كان ودودا جدا معي ، وكان سعيدا بحواري معه باللغة الإنجليزية ، وقد لاحظت على السائقين عموما الهدوء الشديد ، والتعامل المهذب ، مع الركاب ومع غيره من السواق على الطريق ، تماما تماما كما تجد سائقي الميكروباص في مصر !!.

كما أن الحركة منسابة جدا سريعة بين البلدين ، لا تستغرق بضع ثوان ، مقارنة بين ساعات طوال بين الحدود العربية ، عندما كنا في رحلة عمرة بالبر عام ١٩٩٧ ، بقينا على الحدود الأردنية ١٧ ساعة (ذكرانا وأناثا صغارا وكبارا) أما بين الحدود الأردنية المصرية في رحلة العودة فقد بقينا فقط فقط يا عرب ثلاثة أيام بلياليهن ، نجلس في الحافلة مع نسائنا ومع أطفالنا حتى تورمت الأقدام ، أو أن ننام في حجرات صفيح صغيرة كأنها الزنازين .

على أي حال فإن السائق الثاني طوال الطريق كان يتكلم إليه ركاب ينتظرونه في الطريق حتى وصلنا المطار ، فقال السائق هذا هو المطار ، ثم نزل وفتح خلف السيارة ، وأعطاني حقيبتي ، وهكذا .

نعود إلى رحلة العودة فقد ذكر لي السائق الذي أوصلني إلى المطار في رحلة الذهاب بأن السيارة التي ستسافر بي في رحلة الإياب ستتحرك من (بينانج) الماليزية

إلى هجاي التايلاندية الساعة ١٢ ظهرًا ، وهو ما كان .

تحركت السيارة في الموعد ، وبعد ٥ ساعات كنا في هجاى ، ركبنا منها (رتو) آخر إلى مدينة جالا ، ثم الجامعة ، التي وصلتها بالليل في بدنه .

عدت إلى الكلية في اليوم التالي لأبدأ مع العميد حوارا وجدالا حول موضوعين الأول تكاليف المؤتمر ، وكانت حوالي ١٤ ألف بات ، والثاني أن عميد الكلية ذكر لي أن النظام في تايلاند أن الراتب لا يحتسب إلا في أول الشهر فقط ، فكسور الشهر لا تحتسب ، وعليه فقد سافرت من مصر إلى تايلاند ٩/٢٣ وعليه فإن باقي الشهر من ٩/٢٣ إلى ٩/٣٠ = ثمانية أيام ، حوالي ربع المرتب ، كان أيامها يساوى = ٢٥٠٠ جنيه مصري .

وعندما وصل الحوار مع العميد إلى طريق مسدود نصحني أصدقائي بالحديث مع النواب إلى أن يصل رئيس الجامعة من رحلة الحج ، فقد كان رئيس بعثة الحج التايلاندية ، وهكذا كان .

يذكر فلا ينكر فضل أصدقائي المصريين والسودانيين وكذا مدير العلاقات العامة الذي عاونني كثيرا عند وصولي إلى تايلاند ، وفى إجراءات السفر إلى أندونيسيا ، وكذا استفتيناه في مسألة الراتب في تايلاند ، هل يحسب يوم تحرك الوافدين من بلدهم إلى تايلاند ، أم يبدأ من الشهر التالي ، كما زعم عميد الكلية ، ولكن الرجل أفتى بما رآه الصح والصدق .

على أية حال انتهى الأمر إلى حصولي على أجر الجزء الذي حضرته من شهر سبتمبر (٨ أيام من الراتب) وفى مصاريف المؤتمر انتهى الأمر إلى أحد

النواب الذي عرض على ٧٠% من المصاريف ، فقبلت على الفور ، ثم كافأت أصدقائي برحلة إلى هجاى على حسابي ، وانتهى الأمر عند هذا الحد .

ولكن الجامعة جددت عقدي لسنة أخرى ، بيد أنهم نقلوني إلى قسم اللغة العربية ورئيسه إبراهيم تيهى ، الذي حصل على الدكتوراه حديثا ، والذي رأى أن راتبي كبير ـ من وجهة نظره ـ ولذا رأى أن ينهى تعاقدي ، وأن يتعاقد مع اثنين من الدكاترة مكاني ، وهو ما كان ، فتعاقد مع دكتور سوداني وآخر صومالي ، وهكذا فعل مع أستاذ سوداني آخر ، أنهى تعاقده عندما كبر راتبه.

وقد حرصت على حسن العلاقة مع الزميلين اللذين حلا مكاني هما برغم ما سبق ، فليس عليهم من سبيل حتى في رحلتي الأخيرة (أغسطس ٢٠١٦) .

هذا وقد سعيت إلى الزواج إلا أنني لم أوفق ، حصلت على صداقات أو علاقات دافئة ، وجددت الصلات بتلميذي سليمان تيه ، الذي كان مهندس هذى الرحلة كلها ، بل كان مهندس جميع الرحلات إلى تايلاند ، خاصة رحلتي ٢٠١٢ ، وقبلها هذى الرحلة ٢٠٠٩ ـ ٢٠١١ .

وكان عليَّ في هذى الرحلة أن أتعامل بنفسي مع الحاسوب ، فاشتريت واحدا محمولا ، وتعلمت عليه ، سيما الاتصال بأسرتي في مصر ، خاصة أبنائي وأفتح البريد الإلكتروني وأرد على الرسائل وأبحث في الشبكة الدولية ، ...الخ .

وقد عاونني بعض طلابي وكانوا عونا لي في كل شيء وعلى رأسهم تلميذي الشربيني مختار ، وقد التقيته في رحلتي الأخيرة لتايلاند ٢٠١٦م وهو ما سوف

نفصله في مكانه .

الرحلة جاء منها خير كثير وهدايا لأسرتي وأبنائي ، حاسب محمول لي ، ولابني محمد وحسن وغير ذاك من الهدايا ، ومبلغ من المال اشترينا به شقة في دمياط الجديدة أقمنا فيها بعد عودتي من تايلاند عام ٢٠١١م ، عدت إلى عملي في كلية الآداب ، قسم اللغة العربية .

وفى عام ٢٠١٢ كنت في ماليزيا في مؤتمر (الإعجاز العددي في القرآن الكريم) فرأيت أن أعرج على التايلاند ، فركبت الحافلة من حاضرة ماليزيا (كوالالمبور) إلى أخر الحدود مع تايلاند ، في بلدة بنجالانقبور ، ومهندس هذه الرحلة أيضا (سليمان تيه) وعرفني على صديق له تايلاندى يعمل في ماليزيا ، وقد تحركت الحافلة الساعة التاسعة تماما من محطة الحافلات الرئيسة في العاصمة الماليزية فسارت ٨ ساعات كاملة ، فوصلتْ مقصدها بعد الخامسة فجرا ، وجاء صديق (سليمان تيه) فأخذني بسيارته إلى المسجد الذي فيه يؤم المصلين بعدها جلسنا نختم الصلوات ، وبعد الصلوات وختم الصلوات ذهبنا إلى بيت الإمام لتناول طعام الإفطار ، الإمام يقول : إنه مصري ، تعلم في مصر ، وزوجي أيضا مصرية ، وهذا الطعام مصري ، أنا أحضرته من مصر في شهر (شعبان) الماضي ، هكذا قال الإمام الذي أضاف بأن له ٣ بنات أدخل بهن الجنة ، وهو فضلا عن عمله في إمامة المسجد ، يدير كتابا لتحفيظ القرآن في البلدة .

وبعد تناول الإفطار والشاي الذي جاء به من مصر توجهنا بسيارته إلى المنفذ الماليزي على نهر تاك باى الذي يفصل ماليزيا عن تايلاند ، وعلى هذا النهر

(معدية) مجانية بين البلدين ، وهنا جاء اثنان من الجانب التايلاندي من مدينة (طابة) على الجانب الآخر ، حيث حملا حقائبي إلى معهد نور الدين ، وهنالك تناولنا شيئا من الفاكهة والحلويات وبقينا حتى انتهى طابور المعهد الذي تخلله خطاب لأحد المرشحين إلى مجلس الشيوخ التايلاندي .

وبعد انتهاء الطابور ودعني الزملاء في المعهد ، وركبت إلى صديقي سليمان تيه في نارايتوات التايلاندية ، وهنا بدأت الرحلة بجولة في المنطقة ثم في سيارة صديقي إلى أصدقائي في جالا ، حيث بقيت خمسة أيام في ضيافة أحد الزملاء في الجامعة التي زرتها عدة مرات والتقيت رئيسها والنواب والزملاء ، وبعد خمسة أيام عدت من نفس الطريق إلى ماليزيا ، ثم مصر .

أما رحلة أغسطس من ذياك العام ـ ٢٠١٦ م ـ فسوف نتركها لمكانها فيما بعد لنشير إلى رغبة كثير من الزملاء للسفر إلى تايلاند ، وقد حاولت إقناع ولدى أو أحدهما للسفر والعمل والزواج من تايلاند ، أو الحصول على منحة دراسية في جامعة فطانى أو غيرها ، كل هذا ما وجد أذنا تسمع البتة.



المقامـة الأندونيسية
رحلاتـــي إلى أندونيسيـا

كثيرا ما نسمع عن هذا البلد النائي القصي ، الذي هو عنا بعيد بعيد ، ولكن عندما كنت في ماليزيا ١٩٩٠ - ١٩٩٢ تعرفت على الزميل الإسكندرانى محمد صبري الصقيلى الذي كان الرفيق المقرب إلى ، ومن ثم تعرفت على بلدياته محمود ميرغنى الذي أغراني بالرحلة من K.L كوالالمبور إلى جاكرتا والتي عمل فيها سبع سنوات دأبا دأبا .

ركبنا القطار من الحاضرة الماليزية من طريق القطار إلى سنغافورة ، ثم بالطائرة إلى جاكرتا ، أذكر أن تذكرة القطار كان في ٣٠ جنيها مصريا (يابلاش) رخيصة جدا ، ثم من سنغافورة إلى الحاضرة الأندونيسية في جزية جاوة بالطائرة ، وهو ما كان ، إلا أننا وصلنا بعد طيران الطائرة ، وكان علينا البقاء في سنغافورة بضعة أيام لركوب الطائرة الأخرى التي بعدها.

تذكرة الطائرة بعد مساومات حتى وصلنا أحسن سعر ، وأذكر أنه كان في حدود ٢٥٠ جنيها مصريا ساعتها ، حيث إن الطائرة كانت من الصين ، تهبط أولا في سنغافورة ، ثم تعاود الطيران إلى جاكرتا ، تقطع المسافة في حوالي الساعتين إلا الثلث .

أول مرة نرى فيها سنغافورة ، مطارها تحفة فنية رائعة ، وإن كان صغيرا صغيرا ، في بلد صغير صغير (٦٤٨ ك م) فقط هي مساحتها.

بلد نظيف جدا ، سكانه فوق الخمسة من الملايين - عام ١٩٩٢م - يتميز بالعمارات السكنية الضخمة جدا ، نسبة المسلمين - وهم في معظمهم من الملايو ، نسبة المسلمين ٢٠% كما قيل لنا .

في سنغافورة زرنا الشارع العربي أو (الحي العربي) تبدو عليه عراقة العرب وحضارة العرب ، وأبرز ما كان يميزه المساكن التقليدية التي بدا عليها الطابع العربي والمسحة العربية ، فكان أبرز ما ميزه محالّ الطيب والروائح الطيبة غير المقلدة ، وبطبيعة الحال كانت أثمانها خيالية .

والشيء الثاني هو مسجد السلطان في الحي العربي بطابعه العربي العريق الأصيل وحوض الماء الذي يتوضأ منه ، صلينا الجمعة في ذياك المسجد - عام ١٩٩٢- استمعت إلى صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، يا إلهي !! كأنه هو ، كأنه صوت ذياك الشيخ - رحمه الله - كانت القراءة لسورة التكوير ذات الآيات القصيرة جدا وكان القارئ يقرؤها على طريقة الشيخ عبد الباسط - عليه من ربى سحائب الرحمات - في أنه كان يقرأ عدة آيات في نفس واحد إذ كان الشيخ معروفا بنفسه - بفتح الفاء - شديد الطول .

ولخبرتي الدقيقة في التمييز بين الأصوات باعتباري باحثا في الأصوات فقد بدا لي خيط رفيع من فرق بين صوت شيخنا وبين صوت من يقرأ في مسجد السلطان.

وصح حدسي إذ تبين أنه طالب إيراني في المرحلة الثانوية ، تعرفنا عليه ، وعلى بعض المصلين في المسجد يومها ، أحد سفراء الدول الإسلامية ، بعض

السنغافوريين من أصل عربي ، وبطبيعة الحال رفيق الرحلة الإسكندراني ، جرى بيننا حديث ودي وتبادلنا الصور التي لا زلت بها أحتفظ إلى الآن ، ولعلى أتمكن من وضع بعضها مع هذى السطور ، وصور عن حياتي ورحلاتي بشكل عام .

سنغافورة أسسها (لى كوان يو) عام ١٩٦٥ ، حيث انفصلت عن الاتحاد الماليزيا ، وفى رأيي أن الغرب صنع سنغافورة كمنافس لماليزيا ولموانئ ماليزيا ، ميناء (ملقة) الماليزي الذي يقع جنوب غرب شبه جزيرة الملايو ، على مضيق ملقة الذي يفصل بين الساحل الغربي الماليزي وبين جزيرة سومطرة الأندونيسية .

لي كوان يو ـ ١٩٢٣ ـ ٢٠١٥ ـ أول رئيس وزراء لجمهورية سنغافورة التي حكمها لثلاثة عقود متتالية ، اشتهر بصفته مؤسس الدولة التي نقلها من العالم الثالث خلال أقل من جيل ، وإن كنت أرى أن الدعاية للدولة والمؤسس فيه شيء من المبالغة (لي كوان يو) خلفه في رياسة الوزراء (جوتشوك) الذي بقى حتى عام ٢٠٠٤ ليخلفه الابن الأكبر للمؤسس (لى ....) المسمى هين تونج من عام ٢٠٠٤ إلى الآن .

المهم بقينا ـ نحن الاثنين ـ عدة أيام في سنغافورة ، نتجول في الأسواق ونتسوق حتى جاءت الرحلة الثانية ، أو التالية ، من الصين ، وكنا في رمضان ، أو قل في نهايته ، ومن ثم أفطرنا في الطائرة التي أقلتنا إلى جاكرتا ، الحاضرة الأندونيسية ـ ذهبنا إلى فندق متواضع جدا ، ركبنا الطفطف ـ وكنا عام ١٩٩٢ ـ مع سائحة أوربية ، المكان كان ضيقا في هذه المطية الصغيرة ، مركب ضيق ضيق .

تضايقت كثيرا ، ... المطية أخذت وقتا طويلا حتى وصلنا المكان، أو (الخان) المتواضع ، وبرغم هذا كله فما كنت أسطيع أخالف رفيق الرحلة ، أو قائد الرحلة الميرغني فيما سبق ، أو فيما لحق ، في الرحلة كلها .

وكان معنا على نفس المركب الضيق سائحة أوربية ، لكن معها خريطة تدلها على المكان ، وهكذا وصلنا بمعونة هذى الخارطة وصاحبتها .

انصرفنا ـ نحن الاثنين ـ إلى الحجرة المتواضعة في الطابق الأرضي ، بها مروحة مكتب عتيقة جدا ، تشبه المراوح المصرية القديمة التي كانت تصنع في حلوان ، ولما نمنا خشيت منها فكنت أغلقتها ، لكن صاحبي كان عنيدا معها ومعي ، كلما أطفأت المروحة بعد نومنا قام هو فشغلها ، وهكذا ، شغل يشبه القط والفار .

أول شيء فعلناه زيارة أحد زملاء رفيقي ـ حيث كان يعمل معه في جاكرتا ـ في معهد اللغة العربية في جاكرتا ـ الذي كان تابعا لأحدى الجامعات السعودية هذا الزميل استضافنا على الغداء في بيته بإحدى ضواحي العاصمة ، عنده خادمه ، ذكر أن راتبها أيامها كان في حدود خمسين جنيها مصريا ، بما ذكرني بما كان يحكيه أحد أساتذتنا في معهد ههيا الديني الذي تخرجت فيه عام ١٩٦٣ م ، كان يحكى أن مرتب الموظف في مصر في الأربعينات والخمسينات ـ وبالطبع قبلهما ـ كان ٤٨٠ قرشا ، كان يستطيع أن يوظف خادمين ، أو خادمتين ، أحدهما داخلي ، أي يخدم داخل البيت، والآخر خارجي ، يحضر الطلبات ، ويقوم (بالمشاوير) خارج البيت ، ساعتها كان الجنيه الذهب أرخص من الجنيه المصري ، الجنيه المصري كان أغلى من الجنيه الإسترليني ، كان يحكى لنا أستاذنا الشيخ يوسف معوض ـ ت ٢٠١٦ م ـ

عليه من ربنا الرحمات - كان يحكى يقول : كنا ندفع الجنيه المصري مقابل الجنيه الذهب ، فقط ؟ كلا نأخذ قرشين فوق الجنيه الذهب ، بل قيل لنا كانت بريطانيا محتلنا تقترض من مصرنا .

زميل رفيقي ألح كثيرا في أن نقيم عنده ، وكانت هذى ما فيه أرغب ، ولكن الميرغني أصر على رفضه ، وهو ما أسفت له كثيرا ، وبقينا في هذا الخان بقية الرحلة ، نجول في الأسواق نتسوق ، في سوق الاثنين أو (بسرسنيني) سوق ضخم مخصص للملابس والأقمشة ، من عدة طوابق ، به مئات الدكاكين ، اشترينا منه وتبضعنا .

في هذه الفترة تعلمنا من الملايو أكثر مما تعلمناه في ماليزيا في عامين ١٩٩٠ - ١٩٩٢ ، حيث إننا كنا في ذياك البلد - ماليزيا - نتكلم بالعربية ، وفى قليل من الأحوال نتكلم الإنجليزية ، وهكذا كنا لا نستخدم الملايو إلا قليلا قليلا .

وفى السوق اشترى الميرغني بعض الأقمشة من السوق ، ولم يك معه عملة أندونيسية فاقترح على بائعه أن يأخذ عملة ماليزية (الرنجت) وأن يكون الباقي بالعملة الأندونيسية ، البائع كان بعيد النظر بشكل لافت للنظر ، لم يوافق إلا بعد إلحاح صاحبي الواضح البادي للبادي ، وبعد أن تمت الصفقة انصرفنا - نحن الاثنين - إلى السكن ، وإذا بصاحبي يصرخ ينعت البائع : (ابن ... سرقنى) .

وفى اليوم التالي ذهب مسرعا إلى السوق يفتش عن البائع ، وأنا خلفه أتمنى أن لا يعثر عليه ، فإذا حدثت (خناقة) أو مشاجرة في السوق فإن نافلة القول أن نفقد

أموالنا وجوازات سفرنا ، أو نفقد شيئا من كرامتنا أو من ماء وجهنا ، ولكن صاحبي لم يك يلي على شيء غير الفلوس .

وبعد تفتيش مطول في السوق عثر صاحبي على ضالته ، وهنا بدأ يحكى مظلمته من البائع الذي رد عليه لم أك راغبا في البيع لك ، هذا ما شهدته بأم عيني ، وبالأمس الأمس القريب ، وعندما احتدت الأمور واحتدم النقاش اقترحت على من تكأكئوا علينا أن نذهب إلى فرع البنك في الطابق الثاني من السوق بالقرب منا كي نحسب الفرق بين ما دفعه صاحبي من (رنجات) ماليزية ، وما أخذ من عملة أندونيسية (الروبية) وهو ما تم ، وللعجب وللمفاجأة كان الفارق ضئيلا ، في حدود خمسة جنيهات مصرية ، أخذها صاحبي وانصرفنا .

أول مرة أزور فيها الحاضرة (جاكرتا) عام ١٩٩٢ ، برغم علائم الثراء القليلة ، لكن مظهر الناس يؤشر لفقر شديد ، وهو ما رأيته اختفى في الرحلات التالية ، ففي تلك الزيارة رأيت (الطفطف) في كل شوارع جاكرتا ، وهو ما اختفى تماما في رحلتي للمدينة عام ٢٠١٢ م . كما شهدت أندونيسيا ازدهارا وثراء وهو ما شهدته في رحلاتي التالية ، بدءا من رحلة ٢٠٠٩ إلى مدينة ميدان التي سلف عنها الحديث .

وقبل أن نترك السوق والتسوق تبغي الإشارة أو العودة إلى (خناقة) صاحبي مع بائعه لنشير إلى أن الشرق الأقصى سيما ماليزيا وأندونيسيا وتايلاند وقد زرتها، هذا الشرق القصي عنا والبعيد قد نهض نهض وازدهر ازدهارا ، ليس مصادفة ولا حظا إنما بالتخطيط والعمل والإدارة الجادة الحقيقية .

فمن هذه النقاط المضيئة في تلك البلدان البنوك ، هذى البنوك هي مصدر فخر لتلكم البلدان ، في حسن التعامل مع الناس، والإنجاز السريع على قلة العاملين فيه ، على عكس ما نجده في بنوكنا في مصر تماما ، وأذكر للقارئ وللتاريخ ، فأحكى أنه قيل قال : إن المجلس الأعلى للجامعات قد تفضل على بصك (شيك) فيه مبلغ أقل من ٥٠٠ جنيه مصري ، الصك ـ يا ساده يا كرام ـ كان محولا ـ وافرحتاه ـ على البنك المركزي المصري ، ومن ثم نلجأ لبنك آخر كي نصرف الصك ؟ كلا وألف كلا * كلا ، بعد الشر يا حبيبي !! ولكن لكي يتكرم البنك لتحصيله لقاء عمولة يحددها المصرف كما يحب ويتصرف .

وللمفاجأة الكبرى فإن الموظفة في البنك رفضت استلام الصك فضلا عن تحصيله ، لماذا يا ساده يا كرام ؟ لأن الاسم على الشيك هو غير ثلاثي ، أو تجاهل الاسم الثلاثي من اسمي ؟ كيف يا طويل العمر ، الاسم كتب (أحمد مصطفى أبوالخير) والصح فى نظر هذى الموظفة الموقرة أن يذكر اسم جدي (أحمد) ليكون الاسم (أحمد مصطفى أحمد أبوالخير) وعبثنا حاولنا التفاهم مع الموظفة ، لكن هيهات هيهات ، أنا مواطن ، وهى المندوب السامي الأعلى في البنك ، حكاية تكتب في (لوح) ولا يقرؤه إلا طويل البال والروح .

ففي هذى البلدان البنك في مكان صغير ، قليل من الموظفين ، ففي بعض الفروع في تايلاند موظفتان فقط تعملان بكل جد ، تقومان بكل الوظائف المعاملات تتم بسرعة الصاروخ ، في يسر وسهوله شديدة ، وبعد انتهاء معاملتك تعطيك الموظفة الفلوس أو المستندات بابتسامة محيية إياك بكلتا يديها.

أين هذا من بنوك من عدة طوابق ، الموظفون كثر كثير ، يروحون ويجيئون بالبدلات وأربطة العنق الأنيقة ، قليل قليل وأقل من القليل يعملون لإنجاز معاملات المساكين ، والأكثر الكاثرة على مكاتبهم أو يروحون ويجيئون في مقر البنك .

في بلدان الشرق الأقصى فروع للبنوك في الأسواق ، وفى المحلات الكبرى لا تزيد عن حجرة صغيرة ، وعدد متقالل من العاملين ، وكفاءة تامة وسرعة في الإنجاز ، ونعومة واضحة في التعامل ، فضلا عن أن هذى الفروع مرتبطة بالمكان ، حتى في أيام عطلات البنك ، تبدأ عملها في اليوم مع فتح المحل الكبير ، وتغلق بإغلاقه ، ولا دخل لها بالدوام الرسمي في البنك وفروعه وهكذا .

وفى بنوك تايلاند لا نجد ماكينة عليها موظف يطبع الأرقام التي بموجبها يتعامل المتعاملون ، وإنما هنالك أرقام على قطعة بلاستيكية مستطيلة عليها رقم ، يأتي المتعامل ليأخذ آخر رقم ، وفى وقت قصير يظهر الرقم على الشاشة فتذهب للموظف الذي يأخذ منك الرقم أولا ثم يجرى لك تعاملاتك في وقت وجيز .

وقد شرحت هذى الفكرة لبعض من أعرف في أحد مصارفنا هنا ، مجادلا بأن هذا المنحى أفضل من الماكينة التي تستخدم في بنوكنا ، حيث (ثمن الماكينة الكهرباء التي تستخدمها والأوراق - الموظف الذي يقوم على تشغيلها - الصيانة الدورية لها - أو عند تعطلها) ولكن قد أسمعت إذ ناديت حيا ، لكن لا أذن أو حياة لمن تنادى ، أو تجادل .

في أندونيسيا زرنا بعض العرب في بيوتهم بمناسبة عيد الفطر ، حيث وجدنا في بيوتهم نفس المعجنات من الكحك والبسكويت و (الغُريبة) وهم برغم وجودهم

في وسط إندونيسي ما يزالون يتكلمون العربية ، وبدون لكنة أجنبية .

وليلة العيد لم تنم الحاضرة جاكرتا من السيارات الملأى بالمكبرين فرحا بالعيد، ولكنى وصديقي نمنا ولم نتمكن من صلاة العيد جماعة في المسجد ، لكنا صلينا الجمعة في مسجد الاستقلال بالعاصمة المكون من ٤ طوابق ، وقيل لنا إنه يتسع لأربعين ألفا من المصلين ، وأخذنا بعض الصور للمسجد ، ومن داخله لبعض الأطفال والرجال المصلين .

وفى جاكرتا زرنا فندق شطا ، وقابلنا صاحبه وبعض أبنائه ، وقد كلمونا بالعربية ، كما اشترينا بعض الكتب العربية التي كتبها الباحث الإندونيسي الذي يوصف بأنه كاتب وصحافي ، هو :(محمد أسد شهاب) الذي أصدر كتابين هما :

١ـ صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٧١ م ، والتي اشتملت على رد الرئيس الراحل (سوكارنو) على ما ورد عنه في الطبعة الأولى ، وقد صدرت الطبعات في بيروت العرب والعروبة ، بيروت الشامخة الأبية .

الأسد بن الشهاب (المؤلف) وهو محمد و محمود في كتابه لذا أنقل عنه :

٢ـ الرئيس جمال عبد الناصر بلغ صيته آنذاك ـ ١٩٥٥م ـ خرجت أندونيسيا بقضها وقضيضها لاستقبال عبد الناصر عند حضوره مؤتمر باندونج في ذياك العام باعتباره البطل الذي أنقذ أندونيسيا من الدماء في الانقلاب الأبيض [1] ، عام ١٩٤٨ م .

---

(١) راجع ص ٨٥ من الكتاب وراجع أحداث هذا الانقلاب في الكتاب صـ ٦٢ وقبلها . (٣) صـ ٣٠١ .

ب - وفى الكتاب أيضا : عام ١٩٣٧ قام جماعة من شباب العرب المثقفين من مواليد أندونيسيا بإنشاء أول حزب سياسي لهم باسم (حزب عرب أندونيسيا) بقيادة الشاب الناهض - آنذاك - عبد الرحمن باسويدان ، وعدد من زملائه ، من بينهم: (حسين بافقيه - حسين العطاس - علوي بن شهاب) وغيرهم ، اشترك الحزب فعليا مع الأحزاب الأندونيسية الأخرى في تحرير أندونيسيا .

وفى وسط جاكرتا أذكر أنى وصاحبي كنا في انتظار سيارة تحملنا إلى المطار، وإذا بشاب يسألني بالعربية : (تريدون سيارة إلى المطار) بسم الله الرحمن الرحيم، جن أنت أم إنس ، من أين أنت أيها المتكلم بلغة بني يعرب ؟ إنه يمنى الأصل ، لكن الجنسية أندونيسية ، وهو ما ذكرني بإحدى طالباتي في الجامعة الإسلامية العالمية (دارى ماليزيا) قابلتني عند زمزم ، وهى يمنية الأصل ، لكن أباها حصل على الجنسية الأندونيسية ، جاء إلى العمل في مكة المكرمة ، أو كما قالت .

عدنا في النهاية أنا وصاحبي من أندونيسيا إلى سنغافورة بالطائرة ، ومن هذى الأخيرة إلى الحاضرة الماليزية بالقطار الذي استغرق - عامذاك - ٧ ساعات .

هذى السنغافورة عندما خرجت من الاتحاد الماليزي عام ١٩٦٥ ، ما تزال تعتمد على ذياك الاتحاد في ضرورات المعيشة ، على رأسها الماء ، والطعام ، اللحم والخضار ، أي ما يأكلون ويشربون ، وبه يطبخون وعليه يعيشون .

رحلة ٢٠١٢ إلى جاكرتا : في ذياك العام شددت الرحال إلى الحاضرة جاكرتا فمن الحاضرة القاهرة ركبت الطائرة إلى أبو ظبي ، ومنها إلى وجهتي ومقصدي ، وفى المطار الإماراتي قابلت صديقي د . طارق سعد شلبي حيث حكيت له طرفا من

علاقتي بأبيه وعمه ، فقد ساعداني في التعيين في (تربية كفر الشيخ) الأول كان رئيسا لقسم اللغة العربية الذي عينت فيه عام ١٩٧٨ (مدرسا) والثاني كان مديرا للمدرسة التي كنت بها (مدرسة أبو كبير التجارية الثانوية المشتركة) في محافظة الشرقية ، هذا المدير الذي توسط للحصول على الموافقة على تقدمي للعمل في كفر الشيخ .

في ذياك اللقاء عرفت أن صديقي متوجه معي إلى جاكرتا لحضور نفس المؤتمر ، في تلك الليلة في المطار ذكر لي صديقي أن المسئولين عن اختباري في اللجنة الدائمة لترقية أساتذة اللغة العربية قد اختارتني عن جدارة وموضوعية ، فقد قدمتني على غيري ممن سبقوني في أقدميتهم ، فقد قدمتني أعمالي وجهودي في خدمة العربية ، ولم تنهض بهم أقدميتهم للانضمام للجنة المذكورة .

ثم التقينا ـ نحن الاثنين ـ في جاكرتا ، من أول المطار إلى فندق المؤتمر ثم أعمال المؤتمر ، الذي عقد في الجامعة الحكومية بجاكرتا ، حيث قدمت مختصرا لجهودي في خدمة اللغة العربية ، وشاركت في مداخلات المؤتمرين بكثافة ، والتقيت متواصلا مع عديد من الوفود العربية وغير العربية ، وكذا المصريون القلائل الذين جاءوا من مصر ، أو من البلدان التي بها يعملون ، مثل ماليزيا وبروناى وقطر ، وبطبيعة الحال الأندونيسية ، خاصة المسئولين عن اتحاد معلمي اللغة العربية الذي ينظم عدة مؤتمرات حول اللغة العربية ، وكذا له دورية عربية في خدمة عربية بني يعرب ، والقوم يتفضلون بدعوتي لتلك المؤتمرات باستمرار .

أما المؤتمر الآخر الذي تلاه فقد كان في الجامعة الشافعية في جاكرتا ، التي أسسها الأستاذ شافعي الذي بدأ بمدرسة عربية أولية (كتاب) أو كما يسمى في اللغة

الأندونيسية (الباسندران) ثم مرحلة بعد مرحلة ، من التعليم الأولى إلى ..... إلى الثانوية ، ثم إلى جامعة نسبت إلى اسم الرجل ، الجامعة الشافعية ، والتي يديرها ـ الآن ـ بكل جدارة واقتدار ، إذ في مجتمع الملايو ـ كما رأيت في ماليزيا وتايلاند وأندونيسيا ـ وربما في سنغافورة أن المرأة لها القدح المعلى في إدارة الأسرة وفى سوق العمل ، فإن كانت رئيسة العمل سيدة فاطمئن أن جميع حقوقك مصانة ، تصل إليك بلا كلمة ولا (حدوته) أو حكاية ، وإن كان رجلا فأنت ونصيبك يا ابن العم .

المرأة هناك هي التي تقود الأسرة وتنجب الأبناء وتربيهم مع العمل الذي يمتد من الصباح إلى المساء ، وفى أية مهنة ، من الموظفة المرموقة إلى البائعة إلى مهنة البناء ، إلى الحدادة المسلحة في البناء ، لا توجد امرأة تعمل و امرأة لا تعمل ، مهما كانت غنية أو كان بعلها ثريا فاحش الثراء .

وقد أدارت المديرة المؤتمر بكل توفيق ونجاح واقتدار ، وكان ذياك المؤتمر حول (أسلمة العلوم) فقدمت دراسة عن أسلمة العلوم اللغوية ، وقد لاقت رد فعل طيب وإيجابي .

وكان من أبرز ما طرحه الأندونيسيون هو مشكلة الفرقة بين المسلمين ، وكان علاجي لهذى المشكلة هو الرجوع إلى القرآن وإلى العلماء معا ، ليس لواحد منهم فقط ، ففي حياة الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ كان المرجعان (القرآن والرسول) الرسول مرجع الصحابة ، وكان مرجع الرسول والصحابة هو القرآن الكريم ، وفى جوار الرسول وفى حضرته كان محمد على صلة مباشرة مع رب العزة بنزول القرآن أو نزول جبرائيل ناصحا محمد ، أو محذرا إياه ، كما حدث عندما

اعتزم النبي الأكرم أن يغزو قريشا وطلب من الصحابة أن يكتموا عنه إلا أن رجلا هو حاطب بن بلتعة أرسل امرأة برسالة عاجلة إلى قريش يخبرهم بعزمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على غزو مكة ، وساعتها أرسل محمد قوة من الفرسان على رأسهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام فأتيا بها وبخطابها من مكان يسمى روضة خاخ بالقرب من المدينة المطهرة ، ويبدو أن المرأة كانت في بداية رحلتها ، حيث نزل جبرائيل إلى النبي بمجرد أن تركت مدينة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال المصطفى : (إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله ، جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض) رواه البخاري.

وبعد عترته ، أو في غيابهم كما هو حاصل الآن يأتي حديث (إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني .

معنى هذا أننا الآن نرجع إلى القرآن والعلماء معا ، ويكون العلماء الباب إلى القرآن ، وفى رواية : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتي) والسنة هي ما كان عند الرسول من علم ورثه العلماء . وهكذا أجبنا على ما نراه علاجا لحالة التفرقة التي شكا منها الزميل الأندونيسى ، ويشكو منه كثير منا ، ونحن يجب أن نكون على قدر من الشجاعة لنصارح أنفسنا ، ونراجع أنفسنا ، ونحاول الحل قدر الإمكان.

ثم عدت من نفس الطريق من جاكرتا على طيران الاتحاد الإماراتي إلى (أبو ظبي) ثم على الطيران المصري إلى القاهرة ، لتصل الطائرة الخامسة فجرا إلى الحاضرة

المصرية ، ومنها إلى مدينة ههيا .

عدت إلى جامعة دمياط ، وطالبت بمصروفات المؤتمر من الجامعة ، وهو مبلغ ٦ آلاف جنيه مصري ، حوالي ألف دولار (أيامها) ولكن موظف الميزانية تمكن بوقف صرفَ المبلغ برغم موافقة ثلاثة من رؤساء الجامعة ، وتوسل عديد من رؤسائه ، وكتابة عديد من المذكرات ، تمكن من وقف الإجراءات المؤدية إلى صرف مستحقاتي ، وإن كنت تمكنت من صرف مبلغ ألفى جنية من وزارة التعليم العالي .

الموظفة التي سلمتني الصك (الشيك) شَكَت من أن الأكاديمية لديها أموال كثيرة ، لكنها ؟ توزعها على غيرهم ـ وبطبيعة الحال أنا كاتب السطور ـ فما كان منى إلا أن طيبت خاطرها بكليمات ، ثم طرت إلى المصرف القريب جدا من وزارة التعليم العالي في شارع القصر العيني ، على غير مبعدة من ميدان التحرير الشهير .

وفى سفري للمؤتمرات لا أبالى بمن يدفع ، أنا أم الجامعة ؟ فكله من خير بلدنا، ولكن المسئولين عن إجراءات الحصول على نفقات المؤتمر في الجامعة ، وربما في الكلية لا يروق لهم هذا ، ويرون أن هذى الأموال تعطى لنا كي (نتفسح بيها ، و(نروق) على أنفسنا بأموال البلد ، يبدو هذا من فلتات اللسان وسقطاته في لحن من المقول ، هذا فضلا عما تخفيه الصدور ، وتسطره كتابتهم السطور ، لكنى بفضل من الله ودأب تمكنت من حضور عديد من المؤتمرات في تايلاند وماليزيا وأذربيجان ، وربما غيرها ، وحصلت على نفقات من الجامعة ، ومن وزارة التعليم العالي .

وذهبت إلى مؤتمرات أخرى على نفقتي الخاصة ، أو دفعت مالا على مال الجامعة ، ضعفه أو أنتقص من قليلا ، أو أزيد عليه ، وفى النهاية أعتبر سفري إلى

المؤتمرات خاصة خارج العالم العربي مكسبا كبيرا لي ولجامعتي ، وهذا ما ذكره أحد زملائي من أنى أقوم بدعاية طيبة لجامعتي ، وأنا في النهاية خادم للغتي وأمتي .

حتى أنني في أغسطس الماضي ، في هذا العام -٢٠١٦م - سافرت إلى تايلاند، ونزلت ضيفا على جامعة فطاني ، قرب شهر قضيته مع أحبائي وزملائي وتلامذتي .

المرة الوحيدة التي ذهبت فيها إلى المؤتمر بنفقات من المؤتمر نفسه كانت بدعوة الدكتور المنصف المرزوقي الرئيس السابق لتونس عام ٢٠١٤ الذي كان يدعو إلى إنشاء محراب اللغة العربية ، وبالفعل كان تذكرة الطيران والإقامة على حساب المؤتمر ، وكذا التأشيرة والسيارة من المطار إلى المؤتمر والعودة كان برعاية كريمة من المنصف المرزوقي ، ولعلنا نكتب عن ذياك المؤتمر .

جدير ذكره - يا سادة يا كرام - أن هذى الرحلة هي الوحيدة التي كانت على حساب المؤتمر ، أو دفع تكاليفها الداعون للمؤتمر ، فكان الشائع في البداية أن أشترى تذكرة السفر والتأشيرة فقط ، ثم تكون الإقامة على حساب المؤتمر ، وربما الانتقال من المطار إلى فندق المؤتمر ، والعودة منه ، ويدفع المؤتمر تكاليف الإقامة في الفندق وغيره .

وجاءت مرحلة تالية كنا ندفع رسوم المؤتمر مقابل الإقامة وكتاب المؤتمر ، وكان هذا ليس به بأس ، ولكن الأمور نزلت دريكة ، فقيل للمؤتمِر المدعُو ادفع ثمن الإقامة في الفندق ، واحجز أنت بطريقتك ، ثم عليك أن تدفع رسوما للمؤتمر لقاء الحضور وبعض المشروبات وربما لقيمات قليلة أثناء المؤتمر ، أو كتاب المؤتمر المطبوع .

وأخيرا تطور الأمر إلى أن أصبح المؤتمر مشروعا استثماريا ، على الضيف أن يدفع كل شيء ، وأن يكون للداعين للمؤتمر هامش ربح ، ثم إن كان لأمانة المؤتمر أحد أو يريدون مجاملة أحد الضيوف بأن يدفعوا له تكاليف الرحلة أعلنوا أنهم يقدمون جائزة للباحثين المتميزين في المؤتمر ، ويختارون من يحبون ، وإليه يميلون .

وقد يجاملون بعض الناس - إن رغبوا - في أن يقيم على حساب المؤتمر ، وكذا تذاكر الطيران ، وفى أحد المؤتمرات المحلية في مصر رأيت رسوم المؤتمر مبالغا فيها ، فقال لي أمين المؤتمر بأنا نأخذ منكم حتى نعطى الأساتذة الأجانب تكاليف الانتقال كاملة ، أي يأخذون من أساتذة مصر لتمويل تكاليف القادمين من أوربة ، حظ يا أخا بني يعرب ، فمن علا - يا صاح - قد علا.

أعرف بعض الزملاء لا يسافر إلى مؤتمر أو مناسبة إلا إذا دفعوا له التكاليف، وإلا اعتذر بسبب ارتباطه ببعض الأعمال في مصر ، أما أنا - كاتب هذى السطور - فلا فرق عندي بين أن أدفع أو يدفع لي ، لعلى مخطئ في هذا ، الله أعلى وأعلم .

ومن الطريف أنني في المؤتمرات ما استطعت السفر نحو الغرب مطلقا مهما فعلت ، ففي العام ١٩٩٧ تقدمت لحضور مؤتمر سعيد النورسى في تركيا (اسطانبول) أو (استانبول) ففوجئت بخطاب (مؤنجل) يشرح لي لفرط وقاحته كيف يكون البحث ، كما يرشح بعض المراجع الإنجليزية أو (المؤنجلة) .

وبالفعل لم أسافر ، وفى مدينة نيس الفرنسية عام ٢٠١٢م أرسل الرجل الفاضل محمد بشير يدعوني لمؤتمر نيس الذي يعقد سنويا ، والرجل لا يكف في كل عام يدعوني إلى نيس ، لكنى في ذياك العام ٢٠١٢ بذلت ما أستطيع وما لا أستطيع

بخبرتي الشديدة في المؤتمرات والسفر ، برغم أنى اشتريت تذكرة الطيران من القاهرة إلى (باريس) وتذكرة القطار من الحاضرة الفرنسية إلى مدينة (نيس) إلا أنني بعد هذا كله ما تمكنت من السفر حيث لم أتمكن من الحصول على التأشيرة .

ذهبت إلى القنصلية الفرنسية في القاهرة ، ثم كتبت إلى القنصل وإلى السفير، ثم إلى الإدارة القنصلية في وزارة الخارجية ، وفى النهاية اتصلت القنصلية فى القاهرة بيا (بى) لكنى كنت يئست من هذا الأمر، وما تم السفر ، ولا فيه فكرت بعد هذا ، أي إلى (نيس) .

أما عن التذكرة فقد استخدمتها للسفر إلى مؤتمري أندونيسيا في يوليو من ذاك العام ٢٠١٢ وبعد عودتي حاولت استرداد ثمن التذكرة من جامعة دمياط إلا أن مسئول الميزانية في الجامعة تمكن من عرقلة الصرف حيث إنه يتصور أنا نأخذ أموال البلد الصعبة لننفقها في سفر هو للفسحة وبهجة المسافر ، ولا يخدم البلد في شيء.

وبرغم موافقة ثلاثة من رؤساء الجامعة على الصرف وتوسل مرءوسيه ورجاءاتهم ، وشكواي وشكاواتى الملحة المحقة فإني رفعت للاستسلام رايات ورايات معترفا لحضرته بالغلبة والانتصار .

والآن يا حضرات الحضرات هل يجرؤ أحد للسفر مؤتمرا - بكسر الميم - أو غير مؤتمر بعد أن رقص الدولار متأرجحا حول عشرين جنيها ، تحتها قليلا أو فوقها ؟ هذا فضلا عن القيود المتجددة التي تفرضها الجامعات على المسافرين للمؤتمرات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومن عجب ومن ألم أن بعض السادة المتحدثين في وسائل الإعلام يشيدون بتعويم الجنيه المصري والمكاسب والفوائد التي تعود على البلد من هذا الإجراء العبقري الفذ ، ومن ثم وجب أن نقدم أدلة على طلوع الشمس وسطوعها ، وأن أشك أن الأسبوع فيه سبعة أيام ، لا تقل ، لا تنقص ولا تزيد .

المقامة الفطانية
أو
رحلتي إلى تايلاند أغسطس ٢٠١٦

عندما راجت سوق التعريص - بالضاد - والحرص على الباطل في مصر وسوء أدب أبنائي معي خاصة الولدين ، سيما بعد زواجي في أغسطس ٢٠١٣ بعد وفاة أمهم بثلاثة شهور ثم مضايقة بعض الناس لي ، ومن ناحية أخرى أردت إجازة مع زوجتي في بلد آخر غير مصر ، ومن ثم شددت الرحال إلى تايلاند في ٥ أغسطس ، ووصلتها في اليوم التالي :

تايلاند بلد يتسم بعدة أشياء مهمة ، هي أولا وأولا النظافة الشديدة الشديدة ، فهذه الطائرة التي ركبتها من بانكوك إلى هاتجاى عاصمة الجنوب فيها نظافة ما رأيتها في طائرة قبلها ، الشقة التي أعدتها جامعة فطانى التي أنزل ضيفا عليها فوجئت بنظافتها بشكل ما رأيته من قبل .

بل في أحد المحلات العملاقة دخلت الحمامات فإذا بها من النظافة بحيث لا أتوقعها حتى في أحلام أحلامي .

وثانيا أدب الناس مع بعضهم ومعي سواء أكانوا يعرفوني أولا يعرفوني ، ترحيب شديد ومودة ظاهرة واحترام شديد على العكس تماما تماما مما نجده من كثير من الناس في مصر .

وثالثا يا أخا بني يعرب الرخاء الواضح ، فكل السلع متوفرة وفي أي مكان تذهب إليه ، حتى في أماكن العمل تجد الطعام والشراب وبسعر واحد أو متقارب مع أي مكان آخر.

رابعا إن اللقطة هنا لا تلتقط ، فإذا سقط منك شيء أو نسيته بقى في مكانه حتى تأكله عوامل التعرية ، وبالأمس نسيت جوربا جديدا اشتريته - أو سقط منى سهوا - بعد صلاة العصر أمام المسجد بقى في مكان حذائي ، فإنه لا يسمح لأحد أن يحمل حذاءه إلى داخل المسجد مطلقا ، وإنما كل الأحذية كلها خارج المسجد ، ولا شيء غير هذا .

وأنا أقارن هذا الأدب الجم مع من يعرفني ومن لا يعرفني بحوار المصريين مع بعض ، بالأمس القريب كنا في مشوار إلى مدينة(جالا) بينها و بين الجامعة ١٢كم تقريبا .

كنت أحكى لصديقي المصري بأننا سنتحاور في الجنة ونحكم الرسول فيما اشتجر بيننا فإنه سيكون صهرنا في الجنة لأنه يتزوج آسية بنت مزاحم زوج فرعون فقال : هل صهرك وحدك ؟ كلا ، هو صهرنا جميعا - نحن المصريين - ولم يكتف بهذا بل أردف وهل أنت واثق أنك سوف تدخل الجنة ؟ ألم تسمع إلى قوله تعالى : (الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنوا صنعا) ؟؟

يقصد قوله تعالى في نهاية سورة الكهف : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً {١٠٣} الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً {١٠٤}

أولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً {١٠٥} ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً {١٠٦}) .

أي أنني يمكن أكون من :

- الآخرين أعمالا .
- الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا .
- وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.
- الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه.
- فحبطت أعمالهم .
- فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا.
- ذلك جزاؤهم جهنم.
- الذين كفروا .
- واتخذوا آياتي ورسلي هزوا.

إن هذا يشبه ما قاله آخر في مصر عندما قلت له : (أنا رمز من رموز خدمة العربية في العالم) قال لي : (وماذا تملك ؟) قلت : (أملك عمارتين) قال : أين ؟ قلت في ههيا ، قال : (وإيه يعنى ؟) .

والشيء بالشيء يذكر فلا يعاب من أحد ولا حتى ينكر ، فإني قابلت في مسجد الجامعة بعض الطلاب من دولة لاوس المجاورة وهم يتكلمون بالعربية ، ويدرسون الشريعة في الجامعة ، قام أحدهم بالأذان والإقامة ، يسمون أنفسهم بأسماء الأنبياء (يحيى وزكريا وداود...) .

في بعض الأحيان أرى الناس يتهافتون على لغتنا ويدفعون نحو ديننا كهؤلاء الطلاب الذي هم كالأقمار في صباحة وجوههم ونورها ، وأشك أننا نستحق هذا الشرف العظيم .

وعندما سألت هذا الصديق الذي مال إلى أنني يمكن أن أكون من الذين ضل سعيهم ... عن التفجيرات في مدن العراق الجريح ؟ قال هو يؤيدها تماما في المدن التي تزرع فيها إيران الفتن ، في تلك المدن تباح هذى التفجيرات المدمرة .

أما أحد رموز الإسلام السياسي فهو يجيز هذى التفجيرات ، لماذا ؟ لأن أبناء هؤلاء المقتولين ربما كانوا يعملون في المخابرات ؟!.

وقد سألت نفسي مرارا ، لماذا هذا التيه والتوهان ووحدة وحدة التوجه ؟؟ إن هذا قد نبع من التاريخ الذي بدأ في الاتجاه الخاطئ ، واستمر إلى الآن ؟ طبقا للمحطات الآتية :

المحطة الأولى : المبكرة جدا ، ليس فور موت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل قبل هذا ، ومنذ مرض سيد العرب وسيد العجم ، فيما سمى برزينة يوم الخميس التي يرويها ابن عباس في صحيح البخاري ، كيف ؟ .

دعا محمد الرسول الخاتم مَنْ حوله أن يقدموا له ما يكتب لهم به كتابا لن يضلوا بعده أبدا ، فماذا كانت النتيجة ؟ اختلف القوم بين يدي نبي الله ، بل خاتمهم ، وما ينبغي أن يكون اختلاف بين يدي نبي .

عمر بن الخطاب كان على رأس المعارضين مبررا هذا بأن رسول الله (هَجَر) أو (غلبه الوجع) وهنا صرفهم الرسول مبينا أن لا يصح اختلاف بين يدي نبي ، وما هو فيه أهم بكثير مما هم فيه ، وفيه يتجادلون .

المحطة الثانية : كانت في سقيفة بني ساعدة ، لقد مات محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكان الناس في المدينة لهم دوى بالبكاء والنحيب على سيدهم كدوى الملبين أهلوا بالحج.

وترك بعض المقربين إلى محمد نبيهم تركوه جنازة ، وذهبوا إلى سقيفة بني ساعده لاختيار خليفة من بينهم ، وبعد جدال وسجال بين الأنصار والمهاجرين الحاضرين ، بادر عمر مرة أخرى في فلته أو فتنه انتهت بمبايعته لأبى بكر ، ثم بايعه كثير من الناس إلا من أبى واعترض.

ولم يلبث أبو بكر إلا قليلا حتى أسلم الروح بعد سنتين ، فأعادها إلى عمر مرة أخرى ، كما أعطاه عمر للخليفة الأول ، وبقى عمر بالخلافة قرابة عشر سنوات ، كان عَيَّن يزيد بن أبى سفيان ، وكما كان على عهد أبى بكر ، وعندما مات يزيد عَيَّن عمر مكان أخاه معاوية فقال أبوه (وصلتك رحم يا أمير المؤمنين) .

فما الرحم بين عمر وبين الأمويين ؟ إن أم عمر هي شقيقة أبى جهل الذي قال عنه الرسول : لكل أمة فرعون ، وهذا الرجل فرعون هذه الأمة ، كما أن محمدًا اعتبر تكنيته بأبي الحكم معصية يجب أن يُستغفر الله منها .

وبقى معاوية على الشام منذ موت أخيه ، حتى بعد مقتل عمر في هذه المؤامرة الموسعة ، عمر كان يقول : لو كان سالما مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته ، ولو كان أبو عبيدة عامر بن الجراح حيا لاستخلفته ... وكان علي حيا لكن ابن الخطاب ما فكر في استخلافه .

وعندما مات عمر بعد طعنات اللعين أبى لؤلؤة ما فكر أحد في التحقيق في هذه الحادثة المروعة ، إنما كان التفكير في الخلافة والحكم فاختار الرجل ستة لاختيار خليفة من بينهم ونصحهم باختيار سعد بن أبى وقاص ، وإلا فليستعن به الخليفة ، وفى النهاية اختير أحد الأمويين للخلافة هو عثمان بن عفان عام ٢٤هـ ، وبقى حتى مقتله عام ٣٥هـ ، هذا الرجل الذي كان أمويا حتى النخاع ، فهو القائل : (لو كانت بيدي مفاتيح الجنة لفتحت للأمويين كي يدخلوا جميعا) .

ومن ثم مكن لهم وقربهم إليه ـ خاصة مروان بن الحكم ـ حتى كانوا السبب في مقتله حيث اشتد الاشتجار بينه وبين كبار الصحابة ، مثل أبى ذر الذي نفاه إلى الربذة حتى مات غريبا طريدا هو وزوجه ، ومثل سعد بن أبى وقاص وأسد الله الغالب على بن أبى طالب وغيرهم ممن اختلف معهم عثمان.

وعندما اشتدت الأزمة بينه وبين الثوار وحول بيته طلبوا من عثمان أن يسلمهم مروان فأبى ، أو يتنحى عن الخلافة فأبى ، أن يخرج إلى المدينة ، وهكذا حير العقول والألبابا ، فما كان إلا أن قتل .

وكان على أمل أن ينجده معاوية من الشام ، لكنه لم يفعل ، إذ ربما رأى أن المصلحة في قتل الخليفة ليخلو له الجو ، مع أن الخليفة الأموي المقتول هو الذي

مكن لمعاوية في الشام وما كان من جرأته على تحدى الحكومة الشرعية برياسة على بن أبى طالب .

لكنه بعد أن مات استغل موته واستنفر الناس بقميص عثمان حتى صار مثلا ، لكنه كان كمن قال : لا ألفينك بعد الموت تندبني... وفى حياتي ما زودتني زادا.

وبعد موت الإمام على عام ٤٠ هـ واستقرار الأمر لمعاوية بعد صلحه مع الحسن عام ٤١ هـ نسى معاوية القضية تماما وهى القصاص من قتلة عثمان وعلى رأسهم الإمام على كما ادعى ابن آكلة الأكباد .

المحطة الثالثة : عندما اختار الناس ابن أبي طالب خرج عليه معاوية والأمويون وأعوانهم وأعلنوا عليه الحرب التي بدأت بموقعة الجمل المشئومة في البصرة ٣٦هـ .

وكانت هذه الحرب بقيادة عائشة بنت أبى بكر ، زوج محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان يوم خروجها على رأس الجيش العرمرم الذي زاد عن ٣٠ ألف مقاتل على رأسهم مروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير الذي قال عنه على بن أبى طالب سيد العرب : (مازلنا نعد الزبير بن العوام منا آل البيت حتى نشأ له عبد الله) لأنه نشأ وربى في بيت خالته عائشة .

وقد سمى هذا اليوم الذي خرجت فيه عائشة مطالبة بدم عثمان من على بن أبى طالب ، سمى هذا اليوم الحزين بيوم النحيب لكثرة ما بكى الناس فيه ، وعلت أصواتهم بالبكاء حتى النحيب ، أي البكاء بصوت مسموع .

وعلى رأس المعارضين لهذه الرحلة المشئومة السيدة الفاضلة المبجلة ، السيدة أم سلمة - رضي عنها وأرضاها - أم المؤمنين .

وفى الطريق سمعت عائشة الكلاب تنبح فسألت أين نحن ؟ قالوا : عند ماء الحواب ، قالت : ما أظنني إلا راجعة !! لماذا ؟ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كيف بإحداكن تنبحها كلاب الحواب ، ثم التفت إلى عائشة قائلا : (إياك أن تكوني أنت يا حميراء).

لكنهم جاءوا بشهود زور شهدوا زورا بأنهم تركوا ماء الحواب منذ ليلتين ، فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام .

وسار الركب إلى البصرة وفى المقدمة مروان الذي لعن وهو في صلب أبيه كما ذكرت عائشة وقال له على : ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك ، وفيهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن الزبير الذي كان في هذه الحرب كحمالة الحطب ، كما كان يعيره الأمويين ، وكانت النتيجة فاجعة مفاجئة ، لقد قتل من جيش الجمل ٣٠ ألفا ، من الصحابة ومن التابعين ، وعندما قلت هذا لأحد رموز الإسلام السياسي : قال : (وإيه يعنى) .

أسد الله الغالب افترس جيش الجمل ، ولم يقتل من رجاله غير ألف وسبعمائة فقط .

ولما رأى على أن أتباع الجمل يتهافتون حول جملهم عسكر تركبه عائشة وتحض الناس على الحرب للوصول إلى قتلة عثمان وعلى رأسهم الأسد الغالب على

مع أنها حرضت على قتل عثمان ، وكانت تقول : (اقتلوا نعثلا فقد كفر)... لما رأى الإمام على هذا كله أمر جنده بعقر الجمل المشئوم ، ابن عمه سيد الخلق قال : (يا علي يكون بينك وبين عائشة أمر) قال : (فأنا أشقاهم يا رسول الله) قال : لا ولكن أبلغها مأمنها .

وبالفعل جهز الإمام على ٤٠ فارسا قويا جلدا صاحبوا السيدة عائشة إلى مأمنها في المدينة المنورة المعطرة ، وعندما وصل الفرسان اتضح ذكاء الإمام على لقد كانوا نساء في زى رجال حتى تصل زوج ابن عمه إلى مأمنها ، كما أمره ابن العم.

وهنا استطاع الأسد الغالب احتواء فتنة الجمل المشئومة ، لكن بعد مقتل طلحة والزبير اللذين قاتلا الإمام على ظالمين له ، وبعد مقتل هذا العدد الهائل من الصحابة والتابعين بقيادة عائشة ، واستشهد في معسكر الإمام على ١٧٠٠ مقاتل فقط .

المحطة الرابعة : ولم يكد يفرغ الإمام من فتنة الجمل المشئوم (عسكر) حتى جهز له معاوية ومن معه ومن شايعه جيشا عرمرما ، وفى صفين التقى الجيشان ، وهزم جمع معاوية وولى الدبر ، وفكر معاوية في الهرب ، وكاد عمرو بن العاص يصرع لولا أنه سارع إلى كشف عورته ، فتركه الإمام حياء لينجو بحياته .

ولرد الجميل للإمام على لجأ إلى حيلة رفع المصاحف لإنقاذ الجيش المنهزم في صفين ، وقد أحدثت هذه الحيلة فتنة في معسكر على حتى هدده بعض الجند بقتله إن لم يأمر بوقف القتال ضد جيش معاوية وكانت قوات على مبعدة عشرة أزرع من خيمة القيادة المعادية .

المحطة الخامسة : لقد رضخ الإمام على لتهديد الجند الغافلين في معسكره لقبول التحكيم ، أما معاوية فقد فوض عمرو بن العاص إنابة عنه ، أما الإمام على فقد اقترح عبد الله بن عباس داهية بني هاشم كونه ندا وكفئا لابن العاص .

لكن الجند أرغموه على ترشيح أبى موسى الأشعري ، وبقى الحكمان يتجادلان شهورا في دومة الجندل على الخليج الفارسي ، ويبدو أن الحكمين سال لعابهما على الخلافة والحكم طمعا في أن يصل أحدهم إليهما ، بعد تنحية على ومعاوية .

وكانت النتيجة مروعة في أمة محمد ـ صلى الله علي وآله ـ معاوية فطن إلى هواجس صاحبه عمرو ، ووضع الجند المدججين بالسلاح على رأسه ما جعله يعلن النتيجة المروعة الصادمة بعد أن دفع مفاوض على إلى خلع صاحبه أولا مؤكدا له أن سيخلع صاحبه معاوية ، وبعد أن أعلن الشيخ خلع على الحاكم الشرعي ، أعلن عمرو بن العاص تثبيت معاوية الخارج على الإمام ، وهكذا انتهى التحكيم إلى كارثة مروعة قسمت وقصمت ظهر الأمة إلى الآن ، وكان على الإمام على أن يعد جيشه للحرب مرة أخرى ، ولكن الهمم فترت وتعب الناس من الحرب .

المحطة السادسة : وفى ظل هذا الإرباك في معسكر الإمام على جاءت الطامة الكبرى عندما اتفق الخوارج في الكعبة على قتل الإمام على ومعاوية وعمر بن العاص ، وللطامة الكبرى فإنهم لم ينجحوا إلا في قتل الإمام الشرعي ، سيد العرب ، ونجا الآخران ، وبقى الناس إلى يوم الناس هذا يسوون بين إمام الأمة التي اختارته الأمة عن رضى واقتناع وبين من خرج عليه بحد السيف ، ومن خدع الأمة وخانها برفع المصاحف على أسنة الرماح ، وخداع المفاوض الآخر الأشعري ، واعتبروا

هذا خلافا شجر بين هؤلاء الصحابة الثلاثة ، واعتبروا هذه الحروب الطاحنة فتنة لا يدرى المرء أين كان الحق وأين كان الباطل ، مع أن معاوية هو الذي خرج على الإمام الشرعي وشق عصا الطاعة ، وأعلن التحرر المسلح على الدولة ؛ وعمرو هو الذين خان وخدع وقسم الأمة وقصمها ، وأوجد فيها شروخا ومرارة ما نزال نتجرعها حتى اليوم .

ويسلم الإمام الروح على يد الغادر الشقي عبد الرحمن بن ملجم في عام ٤٠ هـ فيوصى بالخلافة لابنه الحسن ، ولكن الإمام الحسن لما وجد قواته غير قادرة على مواصلة الحرب ، بل إن أحد الغادرين طعنه بخنجر في فخذه ، وهجم الرعاع على معسكر الإمام الحسن وانتهبوه ، تم الصلح بين الإمام الحسن وبين معاوية على شروطه ، وعاد الإمام إلى مدينة جده صلى الله عليه وآله.

ولكن سرعان ما دبر معاوية دس السم للإمام الحسن عن طريق زوجه جعدة التي مناها بمائة ألف درهم ، وأن يزوجها بولي عهده ابنه يزيد ، وأسلم الحسن الروح عام ٥٨ هـ ، ولم يعد أمام الأمة غير معاوية وابنه يزيد.

معاوية بقى حتى عام ٦٠ هجرية ، فتولى الحكم بعده ابنه يزيد وفى العام التالي ٦١ هـ لاحت للأمة إصلاح ما فسد من أمرها حين خرج الحسين بن على من المدينة قاصدا الكوفة بعد مئات الكتب والرسائل تستنفره للخروج إليهم ، ولكن المعسكر المعادى تمكن من القبض على سفير الحسين مسلم بن عقيل وقتله في الكوفة وعندما جاء الحسن لم يجد جيوشا ولا رجالا بل وجد وحوشا ضارية ، آلاف مؤلفة من المقاتلين أمام سبعين أو يزيدون من آل الحسين وأقاربه وأقرب المقربين إليه .

هؤلاء السبعون أو يزيدون قتلوا جميعا ، وانتهب معسكر الحسين وسبيت النساء من آل محمد والأطفال ، وضاعت الفرصة مرة أخرى على الأمة .

المحطة السابعة : ولاحت فرصة أخرى لتصحيح المسار ، وإحياء حكومة الإمام على بقيام ثورة التوابين بقيادة البطل الهمام ، الشهيد ابن الشهيد ، المختار ابن أبى عبيد الثقفي ، هذه الثورة التي قامت عام ٧٥ هـ ، وانتهت باستشهاد قائدها ، ثم ذبح جميع المقاتلين الذين كانوا معه في يوم واحد ، ويقال بأنهم كانوا سبعة آلاف مقاتل على يد الزبيريين بقيادة مصعب بن الزبير شقيق عبد الله بن الزبير الذي أعلن نفسه خليفة بعد موت يزيد بن معاوية ٦٤هـ ، وبطبيعة الحال ، من قتل يقتل ، فما لبث مصعب نفسه حتى قتل على يد الأمويين عام ٧١هـ ، ثم عبد الله نفسه الذي قتل عام ٧٣هـ على يد الحجاج بن يوسف الثقفي .

ولما جيء لعبد الله برأس المختار تعجب ، لقد قيل له إنك ستقتل على يد رجل من بني ثقيف ، وها هو المختار الثقفي قد قتل ، ولم يدر أن القدر قد خبأ الحجاج الثقفي .

وهكذا ضاعت على الأمة فرصة التصحيح حين قامت ثورة البطل المختار المغوار ، وقد كانوا الزبيرون أبطال هذه الهزيمة وكانوا أنصار هذا الانكسار الذي ضيع على الأمة هذه الفرصة .

المحطة الثامنة : وهكذا فرض الأمويون الأمر الواقع على الأمة بقيادة مروان بن الحكم الذي تولى الحكم سنة واحدة ، ثم قتل على يد زوجه (أم خالد) ثم أبنائه وأحفاده ، وقد سبق بعض ما قيل في مروان وأبيه وبنيه .

وعندما سقطت الدولة الأموية (المروانية) عام ١٣٢هـ قامت على أنقاضها الدولة العباسية ، ثم فرض الحكم الوراثي والملك المنصوص على الأمة التي انتفضت مرات ومرات ولكن النجاح حالف أعداءها .

حتى وصلنا إلى العصر الحديث حيث برز ما يسمى بالحركة الإسلامية التي تحمس لها جمهور كبير من الأمة ، وعقدت عليها آمال وآمال هذى الآمال العراض تحولت بعد الربيع العربي ، أو أفرزت بعد الربيع العربي تيارات هي ، وقبل أن نقول ماهيه ؟ تجب الإشارة إلى أن التيار المعارض للملك العضوض والهيمنة على مقدرات الأمة بقى في طريقه ، وبقيادة مدرسة آل البيت حتى وصلنا لقيام الجمهورية الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م وما تفرع عنها ونتج عن قيامها من مؤسسات وأحزاب ومنظمات هذا التيار وقف أمام الاستكبار العالمي والهيمنة الداخلية.

هذا التيار وجد حربا ضروسا من المعسكر الآخر المؤيد للاستكبار والهيمنة ولإسرائيل ، يقول زعيم الثورة الإسلامية في إيران متعجبا من الحكام العرب الذين أيدوا الشاه المقبور وكان معاديا للعرب محبا لإسرائيل ، وحين انقلبت الأمور وعادت إيران إسرائيل ، وتقربت من العرب حاربوها حربا لا هوادة فيها من بعيد أو قريب ، لا تعجبوا يا سادة إذا أرادت إيران أن يحبها حكام العرب والاستكبار العالمي فعليها أن تؤمن بإسرائيل وتكفر بما هي عليه ، عندها ستصبح لدى هؤلاء العرب أحلى من الشهد والعسل .

على أية حال جاءت الحركة الإسلامية بكل أطيافها نحو السياسة والحكم ، حلمنا كثيرا بدولة إسلامية عادلة قوية ناهضة ، ولكن الأمر تمخض عن ثلاثة

تيارات ، هي :

١ـ رموز الحركة الإسلامية دفعت ببعض منها إلى معترك السياسة ، في المجالس المحلية والإدارات المنتخبة ومجلس الشعب إلى رئاسة الجمهورية ، كما في مصر ، وفي تونس .

ـ ولكن الأمور انتهت إلى أن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن ، ولكن أنصار الحركة الإسلامية ما زالوا يحاولون بنفس الأساليب ونفس الخطاب ، يجربون المجرب ، ويحرثون المحروث من الأرض ، وهم يرون العيب في الآخرين الذين يرفضون ولا يفكرون في طرق للعودة للحكم مرة .

٢ـ التيار الآخر : الذي حمل السلاح على الدولة سيما في سوريا والعراق ثم ليبيا ، مدمرين الأوطان ، ومخربين الديار ، وليكن ما يكون ، القوى المعادية لنا كما كانت بين علي وأعدائه الكبرى المستكبرة تتفرج وتتمنى استمرار الحكاية ، ودون نهاية ، بلا غالب ولا مغلوب .

٣ـ التيار الثالث : أنصار وأعوان ، لا في العير ولا في النفير يجاحشون عن الفريقين الأولين بكل قوى ، أحد طلابي في الدكتوراه قال لي : إن متزعمي الإسلام السياسي يقولوا إن : (علينا القيادة ، وعليكم الدعوة ، والسمع والطاعة ، ولا تشغلوا أنفسكم بشيء إلا الدعوة)

وهذا التيار لا يرى نفسه جديرا بقيادة أتباعه فقط ، بل بقيادة الأمة وحدهم حصريا حصريا عليهم ، وعلى الأمة جميعا السمع والطاعة والالتزام بما يكلفون به من قبل زعمائهم ، ولا عبرة لأحد في الأمة مهما كان عالما أو مفكرا أو عبقريا ، بما أنه ليس منتميا إلى الإسلام إسلامهم السياسي .

وهذه نماذج حية معاصرة من هذا التيار :

١- ألفت كثيرا وكتبت أكثر ولى أصدقاء كثيرون من تيار الإسلام السياسي ، ولكنهم حراص على عدم قراءة شيء منها فضلا عن مساعدتي في نشر شيء منها .

٢- أحدهم تكرم بقراءة كتابي عن تفسير الأحلام ، وكان تعليقه : (لم تأت بجديد ، أولم يأت الكتاب بجديد) .

٣- وفى حوار مع أحد شيوخ الإسلام السياسي ، كنت أجله وأبجله سألني : ماذا قدمت للإسلام ؟ قلت : مثلا ألفت عديدا من الكتب والكتابات ، قال : هذا فقط يدخل في باب الدعاية - أي لي - ولا يقدم شيئا للإسلام .

تيار الإسلام السياسي أيضا يعادى الشيعة وإيران وكل ما يتصل بهما ، ويعتبرهما من ألد أعداء الإسلام ، إنهم أخطر من أمريكا ومن إسرائيل ، وهم أحباء لإسرائيل وأمريكا .

ومن ناحية أخرى فهو يحترم من خرج على الأمام علي ومن حاربه ومن عاداه ، ومن خان الأمة ، بدءا من معاوية وبطل التحكيم عمرو بن العاص ... ويعتبرونهم صحابة على نفس الدرجة التي عليها الصحابة ، وما أخطئوا في حق على وفى حق الأمة ، كلهم صحابة عدول اختلفوا حول بعض الأمور في هذه الفتنة العمياء ، إذ يشهرون حديث : (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فمن اقتدى بأبي موسى الأشعري الذي خان الأمة في قرار التحكيم ، كمن اقتدى بعمرو بن العاص كمن اقتدى بمعاوية الذي خرج على الإمام على وحاربه حربا لا هوادة فيها ، كل هؤلاء كمن اقتدى بعلي وعمار ومالك الأشتر في نصرة علي.

وعندما احتج الصحابي حجر بن عدى ومن معه على معاوية ، وقتلهم جميعا تسمع الوعاظ يقولون سيدنا معاوية قتل سيدنا حجرا ، أي أن سيدنا قتل سيدنا ، القاتل والمقتول من السادة ، وهذا كمن يقول سيدنا حمزة قتل سيدنا عتبة بن ربيعة، يا إلهي !! أي منطق هذا يا سادة !!.

٤- وفى شقتي ، في إجازتي في جامعة فطانى دعوت أحبائي وأصدقائي في الجامعة على مأدبة فاكهة تايلاندية وإذا بشاب موريتاني يعارضني في أول كلمة أقولها وأول رأى أطرحه ، وعجبت أي أمة هي التي تعارض القائلين من أول كلمة يتفوهون بها ، ومن العجيب أيضا أنه جاء في اليوم التالي على طعام الغداء مع أصدقائي برغم أنني لم أدعه لهذا الغداء

٥- وفى بلدنا ههيا كنت أحتاج إلى دواء فوق المائة جنيه ، وذهبت إلى الصيدلية لأجد أحد رموز العمل السياسي والذي نافس الحزب الوطني أيام حسنى مبارك على شغل مقعد مجلس الشعب ، فأختار الناس منافسه ، ورغبوا عن زعيم الإسلام السياسي ، وقالوا : بسبب طول لسانه ، المهم أنني عندما قدمت له قائمة الدواء طلبت أن يقدم تخفيضا في ثمن الدواء ، وهو ما تفعله كثير من الصيدليات معي ، وهو تخفيض شكلي قليل ، يدخل في باب المجاملة لا أكثر ، لكنه رفض بشدة وعناد.

وعندما سألته عن جاره وأقرب المقربين إليه عن صحته قال متشفيا متشفيا : إنه في النازل ، في النازل .

هذا الرجل وأمثاله يرون فينا عدوا شديدا لهم ، ويجدون علينا بمرارة شديدة لأننا :

- لا ننقاد لهم .
- إذا أرادونا في مظاهرة لا نخرج معهم .
- يريدون منا فتوى بكفر الحاكم ووجوب قتله .

ولكن إذا وقعت في أدنى مشكلة فلا صلة لهم بك ، ولا يعبئون لك ، إنما فائدتك لهم وضررك لك ، شعارهم أقل من : قلوبنا معكم ، والله يرعاكم ، ولا دخل لنا بكم .

أما من كان من الجماعة والعشيرة فله من الإبرة للصاروخ ، ومن صاحبهم يتعاملون منهم : كالوز حنية (حنان) بلا ... أو أقل بكثير .

وكل هذى الأخطاء لأن هؤلاء تربوا على (لا قراءة ولا بحث) ولكن كلمات وعبارات منقوشة من هنا وهناك ، ومن ثم فالإنسان عدو ما يجهل .

والآن ما هو الحل ؟ إن هذا الحل يكمن في عدة أشياء في رأيي :

أولا - يجب على تيار الإسلام السياسي إعادة النظر في المحطات التاريخية المهمة ، وإعادة دراسة هذه المحطات ، بدءا من (رسول الله ﷺ - واجتماع الثقيفة وبيعة الفلتات(١) - ثم وصية أبى بكر بالخلافة لعمر- ولجنة الشورى التي اختارت عثمان الأموي - الحرب على علي - التحكيم - مأساة الحسين وآله في كربلاء) الخ .

ثانيا - تخفيف العداء لمدرسة آل البيت ، لإيران والشيعة وحزب الله ... الخ .

ثالثا ـ تخفيف النار المضطربة الحامية في القلوب ضد غيرهم من أفراد الأمة، فإذا حكموا فليعلموا أن خدمة الناس والقيام بما يحتاجون هو أهم ضمانة لاستمرارهم ، وليس من في الجماعة فقط .

رابعا ـ أن يقدموا خطابا جديدا للناس ، يختلف عن الخطاب السابق ، أو عن الخطابات السابقة .

خامسا : وهو الأهم أن يقدموا مشروعا حقيقيا واقعيا .

وهذه المسألة بالغة الأهمية فضلا عن شيء مهم ، هو مراجعة الخطاب بل مراجعة المواقف كلها والظروف كلها ، ولا تترك القاطرة تسير وحدها دون قيادة حكيمة واعية ومحبة لغيرها .

أما المسلحون الذين يرفعون السلاح ، سيما في سوريا والعراق وليبيا ومصر وغيرها فإن عليهم أيضا إعادة النظر في عملهم ومواقفهم منذ الشرارة الأولى للربيع العربي ، في ٢٠١١ إلى الآن ٢٠١٦م ، ماذا أنجزوا ، ما هو الصواب ، وما هو الخطأ ، فإن العودة إلى الحق أحق وأحمد ، أما ترك القاطرة تسير وتسير دون التحكم فيها ، بل على هؤلاء القوم أن يراجعوا أنفسهم دوما في عملهم ومواقفهم .

وعلى العلماء الذين يتجنبون السياسة ، وينزوون بعيدا عن الأحداث ، والصراع الذي يمور في البلاد وبين العباد أن يتخلقوا بالخلق القرآني : (فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً) .

أما عامة الأمة ممن لم ينخرطوا في سلك الإسلام السياسي ، أو في امتشاق

الحسام ، ولم يك من العلماء والفقهاء فإن عليهم أن يقتدوا بعلماء الأمة ومن تفقه فيها ، وأن ينكروا المنكر من قلوبهم .

إن بعض هؤلاء العامة يعتبر نفسه الأفقه والأعلم والذي يفتى ويتكلم في كل شيء ، أحدهم كان معي في الحج عام ١٩٩٤ ، فكان يقول : (هات لي شيخ الإسلام - يقصد شيخ الأزهر - وأنا أناقشه) يحاججه ، ولكن دون بضاعة من علم أو شيء من فقه ، شيء ، أي شيء .

أما من يدير البلد ، أو كل من يديرنابلدنا مصر وغيرها فإن المسئولية عليهم كبيرة كبيرة ، بل كبرى عظمى ، فإن بعض الموظفين أو المسئولين الذين يعملون في الحكومة أو القطاع العام أو حتى الخاص ، بعض هؤلاء الناس يشعر الآن بأنه المرجع الأعلى في مؤسسته ، بل ربما في البلد برمته لا تصل إليه يد المساءلة ، مهما عملت ، ومهما كانت.

علت سوق الرشاوى ، وارتفعت أثمانها ، فضلا عن غلاء فاحش ، وأنانية متورمة ، فأصبح كل بغاث ضعيف حقير يستنسر ويستأسد ، بل ويتوحش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الفرد المسكين في بلادنا المحاصر بهذا البلايا ، ولى الأمر المسكين الأب الذي يواجه كل هذى الأعاصير ، ماذا يصنع ؟ لقد ناقشت هذى المسألة مع بعض طلابي في الدراسات العليا ، فرأيت أنهم يتحرجون من مناقشة تيك المسألة ، إلا أن الرأي هنا أن نشهر في وجه غول الغلاء واستغلال المستغلين الذين لا يألون في الناس إلا

ولا ذمة ، تشهر في هذى الوجوه القاسية سلاح الاقتصاد والتدبير ، ونفر من الإسراف فرارنا من القسورة ، يقول سيد الخلق :

- الاقتصاد نصف المعيشة .

- ما هذا السرف يا سعد ؟ يا رسول الله : أفى الماء سرف ؟ نعم ، ولو كنت على نهر جار .

ولهذا الحديث بقية في مكان آخر.

جامعة دمياط ـ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير عن رحلة الأستاذ الدكتور أحمد مصطفى أبو الخير
إلى تايلاند في أغسطس ٢٠١٦م
قدم على الكلية

كنت دوما أنصح زملائي بالسفر خارج الوطن لقضاء الأجازة السنوية فيه ، وكنت نفسي أولى الناس بهذا النصح ، فشددت الرحال إلى تايلاند التي زرتها مرات وعملت فيها سنتين ٢٠٠٩ ـ ٢٠١١.

نزلت ضيفا على جامعة فطاني جنوب تايلاند التي أنشئت بقرار من مجلس السفراء العرب في بانكوك ـ عاصمة تايلاند ـ عام ١٩٩٧ تحت مسميات مختلفة حتى استقر بها الاسم إلى جامعة فطاني ، ومعها في نفس المنطقة جامعة أهلية أخرى هي جامعة نارايتوات ، والثانية حكومية وهي جامعة الأمير سنقلة كرين ، فرع فطاني ، ولكن جامعة فطاني هي الأبرز والأشهر بين هذي الجامعات الثلاث في منطقة جنوب تايلاند.

وبمجرد وصولي إلى الجامعة قابلت كبار المسئولين فيها بدءا من رئيس الجامعة الدكتور إسماعيل لطفي ونوابه ، والعمداء ورؤساء الأقسام ومختلف المدراء والموظفين ، من أعرف ، ومن لا أعرف ، والذين استقبلوني بحفاوة بالغة.

كما التقيت طلابي وتلامذتي في تيك الجامعة ، ومنهم من وصل إلى دراسة الدكتوراه أو الماجستير ، سواء من العرب أو من غير العرب ، بعضهم ما إن علم بزيارتي إلى الجامعة حتى جاء إلى تايلاند ليقابلني.

اطلعت على بعض خطط الماجستير، وأبديت عليها ما عن لي من ملاحظ، والحق أن الموضوعات التي يميلون إليها أفضل من بعض الموضوعات التي يتشبث بها بعض الزملاء في جامعتنا.

جامعة فطاني خلية نحل من التدريس والأنشطة المختلفة المتعددة التي تملأ النهار كله ، وربما تمتد لجزء من الليل ، وقد شاركت في بعض هذي الأنشطة ، منها :

١- ندوة مع القرآن التي يترأسها رئيس الجامعة الذي كان يتكلم إلى الطلاب الذين امتلأ بهم مسجد الجامعة على سعته ، كان يتكلم إليهم بثلاث لغات هي العربية والملايو والتايلاندية ، ثم طلب مني إلقاء كلمة بالعربية وطلب من زميل آخر كلمة بالإنجليزية ، هذي الندوة تعقد كل أربعاء بين المغرب وبين العشاء ، وقد حضرت مرتين.
٢- مؤتمر مدينة السلام في الجامعة ، مشروع مدينة يخطط لها ، تحتوي على كلية للتمريض ، ومستشفى لتدريب الممرضات ، ومسجد وخمس قرى وسلسلة من الأسواق والمطاعم لخدمة سكان خمس قرى مقترحة.

ويدير هذه المدينة المؤسسون بشكل تساهمي وقفي يعتمد على فكرة الوقف في الإسلام، وقد حضر بعض الضيوف العرب ، ومن ماليزيا وبروناي ، فضلا عن التايلانديين.

وقد التقيت على هامش المؤتمر بكثير من الضيوف في المؤتمر، من ماليزيا ومن بروناي وبطبيعة الحال من تايلاند ، وجرت بيني وبينهم أحاديث جانبية ودية للغاية ، سوا بالعربية أو الإنجليزية أو الماليزية ، وسط أجواء ودودة للغاية ، وللغاية.

باقي الوقت توزع بين زيارات متعددة لقسم اللغة العربية ، أعضاء ورئيسا ومعيدين وطلابا ، ثم زيارات لمكتبة الكلية بقسميها العربي والإنجليزي ، ثم تبادل الزيارات مع الزملاء والتلامذة والأحباء ، ثم تبادل الحديث مع طلاب الجامعة ، ثم التسوق ، وتذوق الطعام المحلي الذي لا نظير له.

وقد تعرفت على بعض الطلاب من لاوس التي تقع في الشمال الغربي من تايلاند الذي ذكر لي أنه أسلم حديثا هو ومجموعة من طلاب لاوس فقدمت لهم الجامعة منحا دراسية ، وأن أباه أيضا أسلم عقب إسلام الابن ، وأن كل طالب أسلم سمى نفسه باسم نبي من الأنبياء ، فإن الجامعة تفرض على الطالب أن يسمي نفسه باسم عربي ، مع اسمه الأصلي. كما تصفحت بعض الدوريات باللغة الإنجليزية عن السياحة وعن التقدم العلمي في دول (الآسيان) أي جنوب شرق أسيا ، فعرفت وتأكدت أن تيك النهضة السياحية ، وذياك التقدم العلمي ما كان إلا بتخطيط دءوب وعمل متواصل في هاتيك المنطقة.

تايلاند تتميز بعدة أشياء مهمة ، عملة رخيصة لكن لها كرامة في بلدها ، نظافة فائقة في المكان لا نظير لها ، وتعامل رقيق مهذب بين الناس ووفرة في كل السلع وتوافرها في كل مكان من المملكة ، وفي كل أوان ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المقامـة الكماليـة

جئت من تايلاند نهاية أغسطس ٢٠١٦م فوجدت بانتظاري عرس محمد كمال حفيد عديلي الحاج عبد العزيز أبو علي ، على بركة الله ، منذ سنة تقريبا حضرنا بدء الاحتفالات الكبرى الموسعة في محافظة أخرى على فرع رشيد من نيل مصر ، ذهبنا إلى هناك بقينا طوال اليوم لم يلتفت أحد من أهل العروس إلى أحدنا . نحن المدعوين من قبل العريس ـ ولم يقدم لنا شيء ولو كوبا من ماء ، جعنا كثيرا حتى هجمنا على بائع الحمص المطبوخ نسد شيئا من جوعنا أو جوعتنا .

بقينا كذلك حتى جاء القرى على حساب العريس فقدم الشيء وهس هس لا ، لا كلمة ولا حريفا ، حتى عدنا إلى ههيا فجرا حتى تأثرت الأرجل من الجلوس الطويل في الحافلة الصغيرة .

جاء الفرح هنا في بداية سبتمبر ٢٠١٦م في أرض واسعة بين منازل الأسرة وعلى بحر مويس المتفرع من فرع دمياط في بنها) وسط بهجة الأهلين وشدة سعادتهم ، حتى جاءت ليلة الدخلة في أفخم قاعة للأفراح في ههيا ، وفي الصباح في الصباح استيقظ العروسان وتهيآ للسفر إلى الغردقة ، وهنا حاول والدا العريس إثناء ابنهما عن السفر ، ورأيا أن يبقى العروسان معهم أسبوعا على الأقل يفرحون بابنهم .

ومرة أخرى اقترح الوالدان أن ياتيا لهما بسائق يقوم بعبء السياقة من ههيا إلى الغردقة ٨ ساعات أو أقل ، ورفض هذا الاقتراح ، ومن ثم اقترح الوالدان أن يسافرا بالحافلة فلم يلتفت إلى ذياك المقترح "أيضا .

وطارت العروس فرحا بالسيارة الخاصة والغردقة ـ وسيارة الأسرة ـ ثم العريس إلى جوارها فأما أهلوه وفرحتهم أو حسرتهم فلا وجود لها على خريطة العروس أو في تفكيرها .

وعلمت بعد ذلك أن الأهل عرضوا على العروس أن تسافر إليه في الخليج ، فرفض أهل العروس لأنهم يريدون أن يفرحوا بعروسهم ، وكان الأهل معترضين صادين عن البنية ، ولكن ابنهم أصر عليها إصرارا ، ما جعل الوالدين يرضخان في النهاية .

ولم تكتف العروس بهذا بل أصرت على فرش جديد في البلد الذي يعمل فيه العريس في الخليج حتى المطبخ ، حتى الأواني ، لابد أن ترى صورها على المحمول حتى توافق عليها ، وكأننا أمام قطر الندى ، عروس لا قبلها ولا بعدها .

وما كاد المغرب يحط رحاله في بلدنا حتى جاء الخبر المشنوم (محمد عمل حادثة) وبعد ذلك قالوا إنه الآن في مشرحة السويس ، وذهب أهلوه سراعا سراعا بسياراتهم ، طاروا إلى المشرحة ، واختصرت القصة في عبارة الناعي في السَّحَر : لا إله إلا الله ، توفي إلى رحمة الله فلان بن فلان ، وحفيد فلان ، على غير العادة صلي عليه بعد صلاة الفجر، وبرغم هذا فقد حضر جمع غفير جدا في صلاة الجنازة وفي السير خلف الجنازة وهكذا خط القدر خطه في هذه القصة القصيرة فمن المخطئ هنا في أبطال هذي القصة ، العروس التي أصرت على أن يحصل كل شيء كما تحب ، ولم تلتفت إلى شيء غير رغباتها أم الأهل الذين رضخوا في النهاية لرغبات العروسين ، أم العريس الذي أصر على رأيه حتى النهاية .

إن الشخصية المصرية لا تؤمن بالخطأ أو الاعتذار عنه ، بل توقن أن الخطأ في الجانب الآخر غيرها ، أما هو - أو هي - فهو برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المقامــة العماديــة

صاحبي عماد ، التقيته في تايلاند عام ٢٠٠٩ م ، عندما ذهبت لأول مرة للعمل في جامعة جالا الإسلامية جنوب تايلاند ، لقد ترك مصر عام ٢٠٠٣ م فيما أذكر ترك البلد هاجا من الهج بالهاء كما يقول الصعايدة متجها بعد رحلة طويلة على الشركة الأثيوبية ثم حطت به الرحال في تايلاند ليعمل في الكلية الإسلامية في جالا آنذاك حتى تاريخه في جامعة (فطاني) قسم اللغة العربية .

وقد اسطعت إقناعه بإكمال الدراسات العليا إلى الحصول على درجة الدكتوراه ، وأخيرا حصل على الدكتوراه ، ثم رقي إلى درجة أستاذ مساعد كما كنت أحثه على الكتابة حتى أنهى الكتاب الأول الذي راجعته بالكلمة والحرف .

وفي شهر يوليو الماضي ٢٠١٦م فوجئت به على غير العادة يتصل بي ويتواصل معي ، لقد ألف كتابه الثاني الذي راجعته وحكمته ، واخترت له اثنين من أساتذة دار العلوم ، أحدهما رئيس قسم علم اللغة لتحكيم الكتاب ، وكتابة ذياك التحكيم بخط أيديهم .

ذكر لي أنه طلق زوجته لإصرارها وأهلها على كتابة شقة في البيت لها ، وبعد الطلاق استولوا على البيت الذي بناه في الجيزة ، وكان اشترى أرض البيت بمعاونة حميه .

وقد أخفى عني الطلاق خوفا من أن أفشي سره لأصهاره وأنجالهم ، وهذا وهْم وَوَهَل وَهَبل على هبل ، حيث كنت على استعداد لأبذل جهودي من أجل الصلح

وتقريب المسافات بين الطرفين .

وكنت قد عزمت على شراء شقة بالجيزة عن طريق حميه ، ولما عرف صاحبي تنصل من المسئولية تجاه حميه ، وصدمت في طريقته من التنصل من المسئولية بهذه الصورة ، ولكني مضيت في مشروعي ، فاشتريت الشقة عن طريق صهره ، بل كلفناه بتشطيبها ، بل فرشت الشقة وأعرست فيها أسبوعا في أغسطس٢٠١٣م ، وعندما اتصل به وعرف أنني فرشت الشقة عجب عجبا شديدا ، لقد كان يتوقع المشكلات مع والد زوجته ولكن الله سلم بفضل الدعاء وطريقة التعامل مع حميه والذي ما لبث أن توفي منذ عام تقريبا ٢٠١٥م .

أما صاحبي فإن القضايا بينه وبين أصهاره على قدم وساق ، لقد نقلوا ملكية بيته إلى حميه ، وأجروه مستولين على مقدمات كبيرة من المستأجرين .

وفي إجازة صاحبي ٦، ٧ / ٢٠١٦م كان صاحبي يتردد علي في ههيا لمراجعة كتابه وتحكيمه ، وقد عرفت أنه جاء إلى مصر على الطيران السعودي وأنه أدى عمرة في المجيء ، وسوف يعتمر عند عودته من مصر إلى عمله في تايلاند .

ولكن السعوديين أبوا إعطاءنا تأشيرة ترانزيت ليعتمر مرة أخرى ، وعندما حاول إرجاع تذكرة العودة إلى الشركة السعودية ،لكنها لم تستجب له ، وعندها حاولت مساعدته ، ولكنهم قالوا لي : إن موسم الحج إذا دخل فإن السعودية لا تلتفت لشيء غير الحج ، حتى إن شقيقة العروس التي مات عريسها يوم صبيحته حاولت

النزول من السعودية إلى مصر لحضور مأتم عريس أختها لكن أحدا لم يلتفت إليها في السعودية .

وعندما اقترب موعد سفري إلى تايلاند في أغسطس ٢٠١٦م ـ فوجئت بصاحبي يغلق هاتفه في مصر ، ويخفي عني موعد سفره إلى تايلاند ، تحت هاجس أن أشي به إلى أصهاره وعندها يمكن أن يشكوه إلى المطار في سفره كما فعلوا عند مجيئه فتعطل خمس ساعات في المطار .

وعندما ينس من السعوديين اشترى تذكرة من مصر للطيران جديدة بثلاثة آلاف جنيه ـ كما ذكر لي ـ فقلت هذه فرصة لنسافر سويا ، ولكنه أسر في نفسه أن يسافر وحده بعد سفري ، وأرى أن الذي دفعه إلى هذا عدة أسباب على رأسها أن مصلحته معي قد قضاها ، ولذا فلم يعد به حاجة أو (عازة) بلهجة أهل المنيا التي عملت فيها ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ م تماما كما فعل جحا عندما استعار من جاره ركوبته ، وعندما قضى المستعير مأربه قام بتشويه وجهها بالطين ، ولما سئل عن فعلته أجاب أنه لن يستعيرها مرة أخرى ، وأن صاحبه لن يعطيها له مرة أخرى ، وهكذا فإن صاحبي رأى أن مصلحته معي قد قضيت ، وأنه لم يعد بحاجة إلى صاحبه .

ولعل هذا الصاحب كان يتوجس أن أطلب منه شيئا أو معلومة ـ ما ـ وهو يحب أن يخدمه الآخرون في حين هو لا يسمح لنفسه أن يقدم خدمة للآخرين ، يخدمه الآخرون في حين هو لا يسمح لنفسه أن يقدم خدمة للآخرين ، هذه هي المعادلة الصفرية بعينها ، أن يأخذ من الآخرين كل شيء لكنه لا يسمح لنفسه أن يعطى الآخرين من جانبه أي شيء .

وسبب ثالث أنه لا يريد أن أعطل ـ أنا ـ صاحبه في تايلاند عن مصالحه هو ، فقد كلف هذا الصاحب بمعالجة موضوع تذكرة الطيران التي باظت وبطلت ، وأن يستقبله في المطار .. الخ . وكان يخشى أن أعطل أنا صاحبه بمصالحي عن مصالحه هو .

وقد فوجئ أنني استقبله في المطار أنا وصاحبه ، وبعد يومين من وصولي إلى جامعة فطانى ، فحكى لنا عن الرعب الذي قاساه عندما عطلت الرحلة لإنزال بعض الركاب ، وكان يخشى ويرتعد خوفا من منعه من السفر ، ولو كان سافر معي ما حدث من هذا شيء .

وقد حاولت عتابه في إغلاق هاتفه في وجهي ، ولكنه استنكف كثيرا واستنكر واستعجب عتابي وكلامي معه ، الشخصية المصرية التي لا تخطئ ، ولا يدور بخلدها أن تعتذر عن شيء يمكن أن تخطئ فيه ، فهذا الخطأ من نصيب غيره فقط .

قلت له بعض الكلمات واكتفيت بهذا حتى لا نصل إلى جدال عقيم ، بحوار غير مفيد ، وكلما تذكرت هذا وأنا في رحلة تايلاند دعوت له بغير الخير ، فقد حجب عنى معلومات عكرت صفو الرحلة في بعض جوانبها ، كما أنني توجست أن تكون الجامعة غيرت رأيها في استقبالي ، أو ...أو ... لكن كل هذا لا عبرة لها عنده من بعيد أو من قريب ، إنما الأهم مصلحته هو.

المحتويـــات

إهداء ٣
في هذي المسيرة ٥
شخصيات في حياتي ٩
ذكريات من أيام الصبا ١٩
إقناع الصبايا ٢١
حكايات من الصبا ٢٤
المقامة الدرعمية ٣٧
المقامة القاهرية ٤٧
المقامة الشناوية ٧٣
المقامة الجيزاوية ٨٣
المقامة الآذرية ٩٣
المقامة الجالوية ١٠١
المقامة الأندونيسية ١١٩
المقامة الفطانية ١٣٧
المحتويات ١٦٧